بعيداً عن الناس

توماس هاردى



بعيداً عن الناس

تومـــــــاس هاردى
تبـســيط : أ . ج . إير
ترجمة: عبدالحميد الجمال
مراجعة: مختار السويفى

المؤلف

توماس هاردى شاعر وروائى حقق شهرة واسعة فى عالم الأدب من خلال كتبه التى ألفها عن مملكة وسيكس Wessex · واذا بحثت عن هذه المملكة على الخريطة فلن تجدها · فهى منطقة تقع فى جنوب غرب انجلترا · وكانت فى يوم ما مملكة قائمة بذاتها ، وبها العديد من الآثار القديمة التى ترجع الى العصر الحجرى والعصر الحديدى·ويقع قلب مملكةوسيكس فىمقاطعة دورسيت · ومركز مقاطعة دورسيت هو مدينة دورشستر التى يسميها توماس هاردى باسم

« كاستربردج » في رواياته عن مملكة وسيكس :
« تحت الشجرة الخضراء » ، « بعيدا عن الناس » ..
« عودة المواطن » .. « عمدة كاستربردج » ، « تيس
أوف ديربرفيل » وغيرها . فهذه الروايات تعطينا صورة
حية صادقة عن الحياة في دورسيت في منتصف القرن
التاسع عشر . وهي صورة – على حد قول توماس هاردى
نفسه – لم تتغير في خلال خمسمائة عام الا بقدر ضئيل
للغاية . فنفس العائلات كانت تعمل في نفس المزارع
عبر القرون الزمنية حيث كانت تعيش في أكواخ
مسقوفة بالقش وقريبة من مبنى الكنيسة القديمة ومن
فندق القرية الصغير حتى يمكن للناس الاستمتاع
بالصداقة والعشرة الطيبة والانتعاش البهيج عقب الانتهاء
من انجاز الأعمال اليومية الشاقة .

ولم يكن الناس يشعرون بالرغبة في السفر
والترحال ، اذ كانوا قانعين بالفصول السنوية المتغيرة
ويشعرون بالارتياح والرضا عن حياتهم التي تنحصر في
حرث الأراضي وجنى المحاصيل والاعتناء بالنعاج في
فترة الوضع والولادة وقص صوف الأغنام .

وعنوان هذا الكتاب مأخوذ من قصيدة شهيرة
كتبها الشاعر « توماس جراى » وهي قصيدة تعقد
مقارنة بين حياة القناعة والرضا والهدوء التي يعيشها
الرجل القروى ، وبين الجشع الصاخب لجماهير الناس
القاطنين بالمدن ، والغرور والأنانية للناس الجبابرة
الأقوياء . وفي جو السلام الذى يسود احدى مزارع
دورسيت قام توماس هاردى بنسج قصة مثيرة حيث
صور لنا كيف أن غرور المرأة ورغبتها الجامحة في
جذب اعجاب الرجال بها قد جلب الموت والجنون على
رجلين تنافسا على حبها . وبطل القصة وهو رجل قد
نشأ في بيئة متواضعة بالمقارنة بالرجلين سالفي الذكر
كان شابا صغيرا يعمل بالرعي وكان يريد الفوز بتلك
المرأة واتخاذها زوجة له ولكنه كان فقيرا للغاية وعلى
نحو لا يرضى غرورها .

وقد ولد توماس هاردى في عام ١٨٤٠ في كوخ
مسقوف بالقش في مكان لا يبعد كثيرا عن دورشستر .
وتلقى علومه ودراسته في لندن عندما كان شابا
صغيرا ، وكان يعود الى لندن ويتردد عليها من وقت

لآخر . ولذلك نجد أن مجتمع لندن كان يشكل خلفية لبعض كتاباته الا أن هذا المجتمع كان زائفا للغاية ، بحيث لم تنتج عنه روايات يمكن مقارنتها بالروايات الرائعة التي كتبها عن وسيكس .

وعندما توفي توماس هاردي في عام ١٩٢٩ وضع جثمانه في مقبرة كنيسة وستمنستر التي تضم رفات علماء وأبطال الدولة ، الا أن قلبه كان مدفونا في قرية دورسيت الهادئة مسقط راسه وهي القرية التي كان قلبه يهفو اليها دائما .

الفصل الأول

عندما كان « فارمر اوك » يبتسم كانت زاويتا فمه تنفرجان وتمتدان نحو أذنيه وتكاد عيناه تختفيان ، كما تظهر خطوط صغيرة حول عينيه شبيهة بالأشعة التي يرسمها الطفل لشروق الشمس .

كان الاسم الأول له هو « جبرييل » وهو في أيام العمل كان رجلا يتصف بالحكمة والرأى الصائب والشخصية الممتازة - اما في أيام الآحاد من كل أسبوع ، فقد كانت تسيطر عليه الآراء الغامضة ، كما

كان يشعر بعدم الارتياح وهو يرتدى افضل ثيابه ٠٠ كان يذهب الى الكنيسة فى أيام الآحاد الا أنه ـ غالبا ـ ما كان يفكر فى نوع الطعام الذى يمكن أن يتناوله فى وجبة الغداء كلما أراد الاصغاء للخطبة الدينية التى يلقيها الكاهن على الحاضرين ٠

كان يمر بتلك الفترة المشرقة من حياة الانسان ٠ اذ كان عقله وعاطفته فى حالة انفصال واضح حيث لم يتحدا بعد فى داخل كيانه بتأثير نفوذ زوجة وأسرة ٠ وقصارى القول أنه كان يبلغ من العمر ٢٨ عاما وغير متزوج ٠

وفى صباح يوم محدد من شهر ديسمبر كان يسير عبر أحد حقوله الذى يقع على سفح تل نوركومب فوق الطريق الرئيسى الذى يؤدى الى تشوك نيوتن وكاستر بردج ٠ وعندما القى نظرة على سياج من الشجيرات شاهد عربة يجرها حصان تصل الى الممر الضيق بين السياج وكان سائق العربة يسير الى جوارها ٠

كانت العربة مطلية باللون الأصفر ومزدانة بألوان زاهية بهيجة ومحملة ببضائع منزلية ٠ وفوق تلك البضائع كانت تجلس امرأة شابة جذابة ٠ وبعد لحظات توقفت العربة فى مكان قريب للغاية منه ٠

وقال سائق العربة : لقد طار باب العربة الخلفى يا آنسة !

فقالت الفتاة بصوت عذب : اذن فقد سمعت صوته وهو يسقط على الأرض ٠ لقد سمعت صوتا لم أعرف مصدره عندما كنا نصعد التل !

وقال سائق العربة : سارجع بسرعة للبحث عنه ! ٠

ووقف حصانه ساكنا تماما بينما كانت أصوات وقع اقدامه تتلاشى تدريجيا مع الابتعاد عن العربة ٠

وكانت الفتاة الجالسة فوق حمولة العربة ساكنة لا تبدى أية حركة ٠٠ كانت محاطة بأمتعتها الخاصة بها والتى كانت تشتمل على طائر محبوس فى قفص

وقطة حبيسة فى سلة • وبعد مرور بعض الوقت نظرت لأسفل • ولم تكن نظراتها منصبة على القطة او الطائر وانما على ربطة موجودة بينهما • ثم ادارت رأسها لترى ما اذا كان سائق العربة قد بدأ يرجع اليها • وبعدئذ قامت بفك الربطة واستخرجت منها مرآة صغيرة وبدأت تنظر لنفسها فى المرآة بانتباه شديد •

لقد كان صباحا مشرقا وكانت الشمس تسطع على الجاكيت الأحمر الزاهى الذى ترتديه •• وتسطع فى دفء على وجهها الوضاء وشعرها الأسود • وفتحت شفتيها وابتسمت ، كانت الصورة رقيقة • فالضعف الغريب للمرآة قد خرج الى ضوء الشمس الذى غلفه بنقاء الأصالة • لم تكن هناك حاجة على الاطلاق لأن تنظر لنفسها فى المرآة • فهى لم تقم بتعديل وتسوية وضع قبعتها على راسها ، كما لم تقم بتسوية شعرها • كل ما فعلته أنها اكتفت بالنظر الى نفسها كجزء جميل من انتاج الطبيعة الساحرة •

وبعدئذ سمعت خطوات سائق العربة فبادرت الى وضع المرآة فى المكان الذى اخذتها منه •

وعندما انصرفت العربة خرج جبرييل من خلف السياج وسار وراءها حتى البوابة الواقعة عند سفح التل وهو المكان الذى ينبغى أن تتوقف عنده العربة من أجل دفع ضريبة المرور على الطريق • وعندما اقترب جبرييل سمع حوارا يدور بين سائق العربة والبواب المسئول عن البوابة بشأن بنسين •

وكان سائق العربة يقول : ان سيدتى الصغيرة تقول انها قد قدمت لك ما فيه الكفاية وأنها لن تدفع أكثر من ذلك •

فقال البواب وهو يغلق البوابة : حسنا • لن تستطيع سيدتك الصغيرة المرور من البوابة ••

وراح جبرييل ينتقل ببصره بين البواب وسائق العربة • ثم تقدم وقدم بنسين للبواب وقال : دعها تمر !

فنظرت الفتاة ذات الشعر الأسود والجاكيت الأحمر لأسفل ورمقت جبرييل بنظرة خالية من اى اهتمام وأمرت سائقها بمواصلة المسير دون أن تعبر عن

شكرها على الاطلاق . ربما لأنها لم تشعر بالرغبة فى ابداء الشكر والامتنان نظرا لأنه بدفعه لهذه النقود قد جعلها تفقد حجتها فى الاقتناع ، ونحن نعرف كيف تنظر النساء لمعروف من ذلك النوع .

ونظر البواب الى الفتاة وهى تمر من البوابة وقال :

ـ يا لها من فتاة جميلة !

فقال جبريل : ولكنها لها اخطاؤها ..

ـ هذا صحيح . أيها الفلاح !

ـ واشنع اخطائها هو الغرور . فالغرور هو عيبها الدائم .. !

الفصل الثانى

كان الوقت فى منتصف الليل تقريبا عقب انتهاء اقصر يوم فى السنة . وكانت الرياح الشمالية الثلجية تجتاح التل الذى سبق ان شاهد عنده جبريل اوك العربة الصفراء والفتاة الجالسة عليها منذ أيام قليلة .

كانت السماء صافية .. صافية بشكل غير عادى ، والنجوم تسطع فى تألق فوق كوخ الراعى القائم عند حافة غابة صغيرة . فمثل هذه الاكواخ التى ترتكز على عجلات كان يتم جرها الى الحقول لايواء الرعاة أثناء الموسم حيث تقوم النعاج بولادة خرافها الصغيرة .

وكان الناس قد بدأوا منذ فترة قصيرة ينادونه باسم « فارمر أوك » او الفلاح أوك ، نظرا لأنه كان قد اقتصد مبلغا من النقود فتمكن من استئجار مزرعة صغيرة للأغنام تضم تل نوركومب ، كما تمكن من تسديد القسط الأول من ثمن ٢٥٠ من الأغنام . وقبل ذلك كان قد اشتغل كمدير مسئول عن احدى المزارع لفترة قصيرة . وقبل اشتغاله بهذا العمل كان مجرد راع للأغنام ، فهو منذ طفولته كان يساعد والده في تربية الأغنام المملوكة للمزارعين الأغنياء الى أن جاء اليوم الذي مات فيه والده .

وبعد أن أصبح لجبرييل أوك أغنامه الخاصة به ، والتي لم يسدد من ثمنها سوى جزء ضئيل ، كان عليه أن يرعاها رعاية خاصة ، ويبذل المزيد من الجهد والعرق ، ولذلك فقد كان يمر بأوقات محفوفة بالمخاطر . وخرج من كوخه حاملا فانوسا وعلى مدى العشرين دقيقة التالية انشغل بالمرور حول الحظائر المسقوفة بالقش والتي كان قد صنعها من أجل نعاجه . وكان رنين أجراس الأغنام صامتا أثناء غيابه ولكنه ما أن وصل

الى هذه الحظائر حتى بدأت الأجراس تدق . واستمرت في الدق الى أن عاد الى كوخه حاملا بين ذراعيه حملا صغيرا قد ولد لتوه . ووضع الحمل فوق كومة من القش في مواجهة الموقد حيث كان بعض اللبن الدافىء جاهزا وبعد دقائق قليلة راح في النوم مرة أخرى فوق كومة من الأكياس والزكائب .

ودب الدفء في كيان الحمل الرضيع فتشجع وراح يصيح ، فدخل الصياح في اذني جبرييل وقلبه وذهنه محملا بمعاني ملحة عاجلة . وفي لحظة واحدة انتقل من النوم العميق الى اليقظة الكاملة ، فوضع قبعته على رأسه وأخذ الحمل الرضيع بين ذراعيه وسار به تحت جنح الظلام .

وبعد أن وضع المخلوق الضئيل ملاصقا لأمه نهض واقفا وراح يتفحص السماء في انتباه واهتمام لمحاولة معرفة الوقت ليلا من خلال مواقع النجوم .

وقال جبرييل لنفسه : الساعة الآن الواحدة بعد منتصف الليل !

وعندئذ أدرك جبرييل أن حياته بها بعض الجوانب الجميلة الساحرة • فوقف ساكنا للحظات عقب النظر الى السماء •• ثم راح ينظر الى السماء مرة أخرى باعتبارها نتاجا فنيا رائعا غاية فى الجمال الذى يجل عن الوصف •• انها لحظات السلام الكونى التى تتحقق عندما لا تظهر الأشكال البشرية والتعقيدات الانسانية ، والمتاعب والابتهاجات التى تصدر عن الآدميين •

وادرك فى بطء تدريجى أن ذلك الشىء المضىء عند منطقة منخفضة من الأفق على حافة الغابة لم يكن نجمة وانما كان بمثابة ضوء صناعى قريب للغاية من المكان الذى يقف فيه • فسار فى اتجاه ذلك الضوء ، ثم شاهد كتلة سوداء خلف الأشجار ، فتذكر ان ذلك الموقع توجد به حظيرة تابعة لأحد الجيران • فتوقف عند الحظيرة ونظر من خلال ثقب بالباب يمكنه من رؤية ما فى داخلها • فشاهد امرأتين وبقرتين • كانت احدى المراتين قد تجاوزت منتصف العمر أما المراة الأخرى فكانت شابة صغيرة ورشيقة على ما يبدو ، وكانت تضع عباءة على رأسها وكتفيها مما أخفى ملامح وتعبيرات وجهها •

وقالت المراة الكبيرة فى السن نسبيا والتى تعرف عليها وادرك أنها جارته : والآن سنعود للمنزل • وآمل أن تصبح ديسى على ما يرام الآن » •

فقالت المراةالشابة : اتمنى لو كنا أغنياء على نحو يسمح لنا باستئجار رجل ليؤدى هذه الأعمال نيابة عنا وندفع له أجرا !

ـ وطالما نحن لسنا اغنياء ، فينبغى علينا ان نقوم بهذه الأعمال ونؤديها بأنفسنا • وينبغى عليك ان تساعدينى اذا كنت تريدين الاقامة معى • ونحن بحاجة الى المزيد من العلف المناسب من اجل ديسى لكى تقوى وتشتد !

ـ نعم يا عمتى • بمجرد ان تشرق الشمس سأذهب الى الطاحونة للحصول على بعض العلف • وسأقوم بالبحث عن قبعتى التى فقدتها ، وأعتقد أن الرياح قد ألقت بها فوق السياج والشجيرات •

وما أن سمع جبرييل هذه الملاحظات حتى ازداد

شوقه لرؤية وجهها . واحس لبعض الوقت أنه يرغب في ملء مكان شاغر في قلبه وراح يصور له خياله ان تلك الفتاة تتمتع بقسط من الجمال . ومن قبيل المصادفات العجيبة أن عباءتها انحسرت عن رأسها ، فتدلت خصلات من الشعر الأسود الطويل على جاكيت أحمر اللون . وهنا ادرك على الفور انها بطلة العربة الحمراء .. تلك الفتاة التي أخرجت مرآتها والتي أصبحت مدينة له بينسين .

الفصل الثالث

وعندما تجلت تباشير الصباح رجع الى الغابة . وسرعان ما ظهر حصان يحمل فتاة على ظهره . وكان الحصان يتقدم فوق الممر تجاه حظيرة الأبقار . وهنا فكر جبرييل فجأة في القبعة المفقودة وراح يبحث عنها بسرعة الى أن وجدها ملقاة في حفرة بين الأوراق المتساقطة . فالتقطها وعاد الى كوخه ، حيث كان باستطاعته أن يرقب تقدم الفتاة الممتطية صهوة الجواد .

ووصلت الفتاة الى مكان قريب من كوخه وراحت تنظر فيما حولها . وكان على وشك أن يقدم لها القبعة

المفقودة لولا أن حدث مشهد غير متوقع جعله يتراجع ويعصل الانتظار قليلا ٠ اذ كان الممر في ذلك المكان تعلوه بعض الأشجار ذات الأغصان المنخفضة للغاية مما يتعذر معها ان يخترقها الانسان بحصانه وهو جالس منتصب القامة ٠ وهنا نظرت الفتاة فيما حولها كأنها تتأكد من أن أحدا لا يرقبها ٠ وبعدئذ ألقت بظهرها الى الوراء على نحو رائع وبارع بحيث أصبحت ممددة تماما فوق ظهر الحصان ٠٠ وقد استقر رأسها فوق ذيل الحصان واستقرت قدماها فوق كتفيه واتجهت عيناها نحو عنان السماء ٠

وبدا على حصانها انه معتاد على مثل هذا الوضع حيث مر تحت الأغصان بدون أن تعتريه دلائل الدهشة ٠ وبعدئذ اعتدلت الفتاة في جلستها وواصلت السير بحصانها في اتجاه الطاحونة ٠

وشعر جبرييل أوك بالبهجة والتسلية الممزوجة بقدر ضئيل من الدهشة ٠ وانشغل على مدى الساعة الزمنية التالية برعاية شئون نعاجه ٠ وبعدئذ غادت

الفتاة ودخلت الى الحظيرة ٠ وسرعان ما تراءى الى سمعه من داخل الحظيرة الأصوات المنظمة التي تنبعث من شخص ما يقوم بحلب بقره ٠ فأمسك بالقبعة المفقودة بيده وراح ينتظر بجوار الممر ٠

وأخيرا خرجت الفتاة ٠ وكانت الخطوط الخارجية لقوامها توحي بأن لها رقبة جميلة وكتفين جميلين ٠ ولكن لم يحدث ان شاهد شخص ما رقبتها أو كتفيها ٠

وحتى لو كانت قد ارغمت على ارتداء ثياب قصيرة لكانت قد جرت وأخفت رأسها في احدى الشجيرات ٠ ومع ذلك فهي لم تكن فتاة خجولة ٠ كل ما هناك أنه كان من الطبيعي بالنسبة لها أن تكون أكثر تواضعا في ملبسها من الفتيات اللاتي يعشن في المدن ٠ وكان من الطبيعي أيضا انها كانت تفكر في وجهها وقوامها بمجرد أن وقع بصرها على عيني جبرييل ولكن الرجل هو الذي احمر وجهه بسبب الخجل والارتباك وليست الفتاة ٠

قال جبرييل : لقد عثرت على قبعة

فقالت : انها قبعتى . فقد طارت من فوق رأسى الليلة الماضية .

قال جبرييل : فى الساعة الواحدة من صباح هذا اليوم ؟!

فقالت فى دهشة : نعم فى نفس هذا الوقت . كيف عرفت ذلك ؟

— لقد كنت موجودا هنا .

— أنت فارمر أوك اذن ؟ .. أليس كذلك ؟ لقد اردت الحصول على قبعتى فى هذا الصباح . ولقد اضطررت للذهاب بحصانى الى الطاحونة !

— نعم . لقد شاهدتك تذهبين الى الطاحونة .

فتساءلت وقد ظهر قلق مفاجئ على وجهها : أين ؟

فقال جبرييل : هنا .. شاهدتك وأنت تخترقين الغابة وتهبطين التل .

ثم راح يحملق فى ذلك الاتجاه قبل أن يستدير ملاقاة عينيها . ولكن ذكرى تصرفها الغريب فوق ظهر الحصان قد اضفت على وجهها لون الوردى الغامق . وما أن نظرت اليه حتى ادار عينيه بعيدا فجأة ، كما لو كان قد ضبط متلبسا بالسرقة . وعندما نظر اليها مرة أخرى ادرك أنها ذهبت .

ومرت خمس صبيحات وامسيات . كانت الفتاة تحضر بانتظام لتحلب البقرة المتمتعة بصحة جديدة . ولكنها لم تنظر فى اتجاه جبرييل على الاطلاق . فعدم مراعاته لشعورها قد اساء اليها بشدة . فهى قد شعرت بالاستياء ليس بسبب انه قد شاهد أمورا بطريق المصادفة او رغما عنه ، ولكن بسبب انه قد جعلها تدرك انه قد شاهد تلك الأمور . وكان من المتوقع الا يتعرف على شخصيتها بشكل أنفس على الاطلاق لولا حادث أمر ما فى نهاية نفس الأسبوع .

وبعد ظهر أحد الأيام ازدادت برودة الجو وبدأ الثلج يتساقط . ونظرا لاقتراب الوقت الذى يتم فيه

حلب الأبقار ، فقد قام بالمراقبه الاعتياديه على حظيرة الأبقار . وأخيرا شعر بالبرودة الشديدة تسري في كيانه فراح يكوم المزيد من القش حول النعاج وحملانها المولودة الصغيرة . ثم دخل الكوخ ووضع مزيدا من الوقود فوق الموقد .

وتسربت الرياح الشديدة الى داخل الكوخ من أسفل الباب . ولكي يمنع هذا التسرب وضع ركيبة هنالك ثم أدار الكوخ قليلا ليتفادى التعرض للهواء . وعندئذ هبت الرياح في داخل الكوخ من خلال أحد ثقبي التهوية الموجودين في جانبي الكوخ .

ولقد كان يدرك دائما انه عندما يكون الموقد مشتعلا والباب مغلقا ، فانه ينبغي فتح أحد ثقبي التهوية . فأغلق ثقبا واستدار ليفتح الثقب الآخر الموجود على الجانب الآخر غير المواجه للرياح . ولكنه غير رأيه وقرر أن يجلس لبعض الوقت تاركا كلا الثقبين مغلقين لمدة دقيقة أو دقيقتين الى أن يرتفع درجة

حرارة الكوخ قليلا . الا أن رأسه بدأت تتعرض للصداع وراح في نوم عميق قبل أن يقوم بفتح ثقب التهوية الآخر .

ولم يدرك كم من الوقت قضاه فاقد الوعي . أثناء المراحل الأولى من عودة الوعي اليه ، بدا له أن هناك أمورا غريبه تدور من حوله . اذ كانت كلابه تعوي ورأسه تموج في صداع رهيب وكان هناك شخصا ما يشده ويجذب جسده . وعندما فتح عينيه وجد الفتاة ذات الشفتين الجميلتين والأسنان البيضاء الى جواره . بل والأكثر من ذلك ـ وهو أمر زاد من دهشته ـ أنه وجد رأسه وقد وضعت على ركبتها بينما وجهه ورقبته قد بللتها بالماء على نحو غير مريح في حين كانت أصابعها تفك ياقة قميصه .

فتساءل في دهشة : ماذا في الأمر ؟

فأجابته الفتاة ضاحكة : لم يحدث شيء حتى الآن طالما أنك ما زلت على قيد الحياة . لقد كنت على وشك التعرض للموت بسبب النقص في الهواء في هذا

الكوخ .. ما كان ينبغي عليك أن تترك تلي التهوية مفتوحة

وساعدته على النهوض بجسده قليلا والجلوس معتدل القامة . وراح يمسح وجهه ويهز نفسه . ثم قال لها أخيرا : كيف لي أن أشكرك ؟ وكيف عثرت علي .. ؟

ـ لقد سمعت كلابك تعوي وتخربش في بابك أثناء قيامي بحلب البقرة . ومن حسن الحظ أنني كنت موجودة هنا . فموسم حلب البقر قد انتهى تقريبا ، وأصبح من المقرر ألا أحضر الى هنا الا بعد الأسبوع التالي . وبعدئذ جاءني كلبك العجوز وأمسك بقميصي . فانطلقت أجري على الفور وفتحت الباب ورأيتك . وكنت مثل رجل ميت . فألقيت باللبن عليك لكي أوقظك نظرا لأنني لم أعثر على أي ماء بالكوخ .

ـ لقد أنقذت حياتي يا آنسة ... انني لا أعرف اسمك . وأنا أعرف اسم عمتك ولكنني لا أعرف اسمك .

ـ أفضل ألا أذكر لك اسمي . فليس هناك داع لذلك حيث من المحتمل ألا يكون لك علاقة باسمي على الاطلاق !

ـ ومع ذلك فأنا أود أن أعرف اسمك !
ـ يمكنك أن تسأل عمتي . وهي ستقول لك اسمي .

ـ أنا اسمي جبرييل أوك .

ـ واسمي ليس كذلك .. وأنا أعتقد دائما أن اسمي يبدو غريبا وغير مريح .

فقال جبرييل : باستطاعتك تغيير اسمك والحصول على اسم جديد !

وعندما صاحت في دهشة أضاف قائلا لها :

ـ حسنا يا آنسة . أرجو المعذرة . لقد اعتقدت أنك سترحبين بالفكرة . انني لم أكن في يوم ما أتميز باللباقة الشديدة . ولكنني أشكرك من كل قلبي حقا . أعطني يدك !

وترددت وهي تمد يدها وتعطيها له . فأمسك يدها للحظات خاطفة ثم قال على الفور : أنا آسف !

– على أى شيء تأسف

– لأنني امسكت يدك للحظات قليلة فقط ثم تركتها بسرعة !

– يمكنك أن تمسك بيدى مرة أخرى . ها هي يدى .

فأمسك يدها لفترة أطول في هذه المرة . وقال أن يدها لينة للغاية . فقالت له دون أن تجذب يدها : لقد أمسكت يدى لفترة طويلة بما فيه الكفاية . واعتقد أنك تفكر حاليا فى تقبيل يدى . ويمكنك أن تقوم بالتقبيل اذا كنت تريد ذلك !

فقال جبرييل بكل بساطة : لم أكن أفكر في شيء من هذا القبيل . ولكني سأفعل ذلك .

فسحبت يدها بسرعة ! لا . لن تقبل يدى

وعندئذ شعر جبرييل أنه قد وقع في خطأ آخر لأنه أساء الى مشاعرها . واضافت في سخرية : والآن حاول أن تعرف اسمي ..

ثم غادرت الكوخ على الفور ..

الفصل الرابع

وسرعان ما تسببت هذه الفتاة الجميلة الجذابة في اقلاق الشاب جابرئيل أوك بعد أن كان مرتاح البال . اذ بدأ يرقب من خلال السياج وصولها حيث كانت تجيء بصفة منتظمة .. وكان يترقبها مثل كلب وضيع ينتظر تقديم الوجبات الغذائية له . وقام بعدة استفسارات وتحريات فاكتشف أن اسمها باتشيبا افردين .

كما اكتشف أن البقرة ستتوقف عن ادرار اللبن في خلال سبعة ايام تقريبا . فبدأ يشعر بالخوف والقلق من اليوم الثامن . وأخيرا جاء ذلك اليوم الثامن ولم

تعد باتشيبا تجيء الى الحقل بعد ذلك . وكان قد وصل حينئذ الى حالة من الاثارة والبهجة الشديدة لم تكن تخطر على باله من قبل . اذ بدأ يردد كلمة « باتشيبا » في متعة شديدة بدلا من التصفير بفمه للتعبير عن البهجة . وفي نهاية الأمر قال لنفسه :

ــ سأتخذ منها زوجة لي والا سأتعرض للانهيار التام خلال فترة زمنية قصيرة !

وطوال هذه الفترة راح يفكر في قلق شديد في كيفية البحث عن سبب معقول يدعوه لزيارة كوخ مسز هارست وهي عمة باتشيبا . ولاحت له الفرصة عندما ماتت نعجة هي أم لحمل رضيع على قيد الحياة .

وفي صباح يوم مشرق ومشمس من شهر يناير وضع الحمل الرضيع في سلة نظيفة وعبر الحقول متجها الى منزل مسز هرست . بينما كلبه العجوز جورج يسير في وقار خلفه .. وكان قد ارتدى أفخر ثيابه في عناية شديدة . ووضع كل ما عنده من زيوت الشعر على شعره الجاف المجعد ، مما جعل شعره الرمادي

اللون يتحول الى اللون البنى الباهت ويلتصق برأسه مثل الأعشاب البحرية المبللة الملتفة حول صخرة ملساء عقب انحسار الماء عنها ٠

وعندما قطع مسافة فى حدود ٢٠٠ ياردة سمع وراءه القطة تقوس ظهرها فى غضب واستياء لدى مشاهدتها الكلب العجوز جورج ٠ ولم يعرها الكلب أدنى اهتمام حيث كان عجوزا للغاية وعلى نحو لا يسمح له بالجرى لاهثا وراء القطط ٠ ولكن صوتا تراهى من خلف شجيرة كانت القطة قد وصلت اليها :

ـ يا عزيزتى المسكينة ! هل أراد كلب شرير قاس أن يقتلك يا عزيزتى المسكينة الصغيرة ؟

فرد جبرييل على الصوت قائلا : معذرة ٠ ولكن جورج كان يسير بجوارى فى هدوء وسلام !

الا ان احدا لم يظهر من بين الشجيرات ٠ ثم سمع صاحب الصوت يرحل مبتعدا بين الشجيرات ٠ وكان قد تشبه بمثابة استقبال سيىء ٠ فاتجه نحو الباب وهو يشعر بشىء من الارتباك ٠ وفتحت عمة باتشيا الباب ٠

فقال جبرييل : لو سمحت أخبرى الآنسة ايفردين ان شخصا ما يسعده أن يقابلها ؟

ثم أضاف قائلا : لقد أحضرت لها حملا رضيعا ٠ فقد اعتقدت أنها ربما تعتنى بهذا الحمل ٠ لأن الفتيات يقمن غالبا بمثل هذه الرعاية ٠٠ !

فقالت مسز هرست : يمكنها ان تعمل ذلك ولو انها مجرد ضيفة او زائرة عندى هنا ٠٠ تفضل بالدخول ٠ باتشيبا ستصل الى هنا حالا !

فقال جبرييل وهو يتبعها الى داخل المنزل ويجلس بجوار المدفأة حقيقة الأمر أن الحمل الرضيع ليس هو السبب فى مجيئى الى هنا ٠ فانا قد جئت لكى أسألها عما اذا كانت ترغب فى الزواج يا مسز هرست ٠

ـ أجئت من أجل ذلك الأمر حقا ٠٠ ؟

ـ نعم ٠ لأنها اذا كانت لديها الرغبة فى الزواج

فانني سأكون سعيدا للغاية اذا تزوجتها • وهل ظهر لها أي شاب آخر يريد أن يتزوجها ؟

فقالت مسز هرست : دعني أفكر وأتذكر ..
ثم استطردت : نعم • بالطبع • ظهر لهـــا كثير من الشبان فهي جميلة وجذابة للغاية وحصلت على قدر وافر من التعليـــم يا فارمر اوك • ولكن هؤلاء الشـــباب لم يحضروا الى هنا على الاطلاق .. ولكنها كانت ستحصل بالتأكيد على دستة من الشبان !

فقال جبرييل وهو ينظر في أسف نحو الأرض :
ذلك أمر يؤسف له • فأنا مجرد رجل عادي وفرصتي الوحيدة تكمن في انني اول شخص يطلب يدها • حسنا لا داعي اذن أن انتظرها الآن يا مسز هرست ..

وعندما وصل الى بوابة الحديقة شاهد قطة بالداخل صبيحة • فنظر فيما حوله فشاهد فتاة تجري للحاق به وقد راحت تلوح له بمنديل • لقد كانت تلك الفتاة هي باتشيبا •
وقالت : يا فارمر أوك ...

وتوقفت عن الكلام للحظات لكي تلتقط أنفاسها اللاهثة لدى الوصول اليه •

فقال جبرييل : لقد جئت توا من أجل أن اقابلك..
ـ نعم • أعرف ذلك • ولكنني لم أكن أعرف أنك ستحضر لكي تطلب الزواج مني ، والا لكنت قد حضرت اليك من الحديقة على الفور • ولقد جريت وراءك لكي الحق بك واقول لك ان عمتي قد اخطأت في القول عندما قالت لك ان لدي شاب بالعمل على علاقة بي • فانا ليس لي حبيب على الاطلاق ولم يكن لدي أي حبيب في أي وقت على الاطلاق !

فقال جبرييل : انني لسعيد حقا أن أسمع منك ذلك !

وارتسم ابتسامته الطويلة المعهودة واحمر وجهه خجلا مع الانفعال بشعوره بالبهجة والسعادة **واستطرد قائلا** : لدي مزرعة صغيرة جميلة وعندما نتزوج سأتمكن من مضاعفة جهودي في العمل !
واتخذ خطوة للأمام ومد ذراعه الا أن باتشيبا

بجبت يده وارتقت حتف شجيرة شائكة وقالت من فوق كتفها وهي تنظر اليه بعينين مندهشتين : ماذا في الأمر يا فارمر أوك اني لم أقل مطلقا اني سأتزوجك ·

فقال جبريل في ارتباك : حسن · تلك اذن خدعة منك تجرين وراء أى شخص على هذا النحو وبعدئذ تقولين أنك لا تريدينه ·

فقالت في لهفة وشغف : لقد كنت اعتزم أن أقول لك ذلك ·· فأنا ليس لدي دستة من الشبان يتعقبونني كما قالت عمتي لك · فأنا أكره أن يعتقد الناس انني بمثابة شيء يمتلكه الرجال بتلك الطريقة · ولكني اذا كنت اريدك حقا لما جريت وراءك على هذا النحو · لانني لو جريت وراءك أكون بذلك قليلة الحياء وبعيدة عن الأدب والحشمة ·

فقال جبريل وهو يبذل محاولة اخرى : تعالي الى يا آنسة ايفردين · سأنتظر قليلا مدة دقيقة أو دقيقتين حتى اتيح لك فرصة للتفكير في ذلك الأمر ·· هل

ستتزوجينني ؟ ·· ارجوك أن توافقي يا باتشيبا فأنا احبك من كل قلبي !

فقالت باتشيبا وهي تنظر الى الافق البعيد وقد راحت في تفكير عميق : اعطني بعض الوقت الكافي لكي افكر فيه ··

فقال وهو ينظر الى مؤخرة رأسها عبر الشجيرة:
ـ باستطاعتي أن أدخل السعادة الى قلبك · فسوف يكون لديك بيانو ·· فزوجات الفلاحين أصبح لديهن بيانو في هذه الأيام · كما ستكون لديك عربة صغيرة جميلة يجرها حصان لكي تذهبي بها الى الأسواق · هذا بالاضافة الى الورود والأزهار الجميلة والأطفال الذين يدخلون عليك البهجة والسرور !

واستمر في كلامه الذي يشرح الشعر بالاتجاهات المملة ·

ـ نعم · ينبغي علي ان احب ذلك الأمر !

ـ ولسوف نعلن عن موعد زواجنا وعن مولد

أطفال الصدر في الجرائد ! وكلما رفعت عينيك لأعلى وأنت بمنزلك بجوار المدفأة ستجدينني دائما هنالك بجوارك ...

— انتظر .. انتظر قليلا !

وراحت في صمت للحظات عصيبة وبعدئذ استدارت نحوه على نحو حاسم وقاطع **وقالت** : لا . لا جدوى من وراء هذا الكلام . فأنا لا أرغب في الزواج منك . فالزواج سيكون بمثابة تحقيق انتصار عظيم بالنسبة لي من وجهة نظري الخاصة . ولكن الزوج لا ! فكيف تقول انت سيكون دائما هنالك . وكلما نظرت انا لأعلى سيكون هو هنالك .

وصدرت عن جبرييل تنهيدة عميقة صادقة وتوسل اليها وهو يحرك أغصان الشجيرة لكي يتمكن من الوصول اليها **قائلا** : لماذا لا توافقين على الزواج مني ؟

— لأنني لا أحبك !

فقال جبرييل : ولكني احبك . ولسوف اظل على حبي لك ورغبتي فيك طوال حياتي .

وارتعش صوته بعد أن سرى في كيانه حزن حقيقي بل وراحت يداه الكبيرتان ترتعشان بشكل ملحوظ .

فردت عليه : لا فائدة من وراء كلامك يا مستر أوك . انني اريد شخصا ما يروضني ويجعلني أليفة .. فأنا من النوع الذي يعتمد على نفسه تماما . وانت لن تتمكن من ترويضي على الاطلاق وهذه حقيقة أدركها جيدا !

وتوقفت عن الكلام **ثم استطردت** : وأنا لا أمتلك أي شيء تقريبا ولا أية نقود في هذا العالم . ولكني متعلمة أكثر منك .. ولا أشعر نحوك بالحب على الاطلاق .. وهذا هو موقفي من هذا الموضوع . والآن فكر في هذا الأمر من جهتك انت . فأنت قد بدأت لتوك في امتلاك مزرعة صغيرة وينبغي عليك أن تتزوج

امرأة تمتلك نقودا . امرأة تستطيع ان تشترى لك أغناما وماشية من اجل مزرعة اكبر

فنظر اليها جبرييل فى دهشة واعجاب وقال فى صدق وامانة وسذاجة : ان ذلك هو بالضبط ما كنت أفكر فيه !

فقالت فى غضب : الآن فقط جئت الى وعندما ازعجتنى كل هذا الازعاج ؟ .. واستطردت : وهل تعتقد بعد هذا الكلام الذى قلته انى ساوافق على الزواج منك ؟ لا . لا تكلمنى معى باى كلام آخر .. فانا لا احبك وانه لمن الغباء ان اتزوجك بينما انا لا احبك !

ثم صدرت عنها ضحكة ممتلئة بالسخرية والاحتقار .

وبالطبع لا يوجد اى رجل يوافق على أن يرى احدا يسخر من حبه . لذلك قال جبرييل فى حزم : حسنا . لن اطلب منك أن تتزوجينى مرة أخرى !

الفصل الخامس

ووصلت انباء لجبرييل تفيد أن باتشيبا قد تركت هذه المنطقة . كانت قد ذهبت الى وذربرى .. وهى قرية تقع على مسافة عشرين ميلا ، الا انه لم يستطع ان يعرف ما اذا كانت قد ذهبت الى تلك القرية للعيش فيها بصفة دائمة ، ام لمجرد زيارتها لفترة محدودة . وبعدئذ حدث شيء ما أدى الى ابتعادها أكثر وأكثر حتى أصبحت بعيدة تماما عن متناول يده .

وذات ليلة وبعد أن عاد الى منزله معتقدا ان الأمر لم يعد يستلزم منه ان ينام فى الكوخ ، فقام باستدعاء

كلبيه كالمعتاد قبل الذهاب للنوم في فراشه . الا أنه لم يظهر سوى كلب واحد وهو جورج المحبوب ولم يتمكن من العثور على الكلب الآخر .

وكان جورج كلبا ماهرا ومن النوع الذي يمكن الاعتماد عليه . اما الكلب الصغير ابن جورج فلم يكن لديه اي ادراك سليم على الاطلاق فعندما يرسل خلف القطيع لمنعها عن الاسراع فانه كان يعمل ذلك باخلاص واتقان شديد حتى أنه كان يطاردها عبر وسيكسر ناسرها في بهجة هائلة ولا يكف عن ذلك طالما لم يتم استدعاؤه . ولذلك كف جبرييل عن استدعاء الكلب الآخر وذهب لينام في فراشه .

وكان الليل ساكنا تماما . وقبل ظهور تباشير الصباح بقليل استيقظ جبرييل على أصوات أجراس الأغنام التي كانت تدق في عنف وسرعة غير معهودة . فقفز من فراشه على الفور وارتدى ملابسه وانطلق مهرولا في الحارة المليئة بالضباب وتسلق التل .

كانت الخمسون نعجة مع حملانها الصغيرة في

الحظيرة بالأماكن التي تركها فيها أما النعاج المثنتان الأخريات واللتي لم يحن بعد وقت الولادة بالنسبة لها فقد اختفت كلها تماما . فراح ينادي عليها بأعلى صوته بذلك النداء الذي يستخدمه رعاة الأغنام

ـ أوفيبي . أوفاي . أوفاي !!

فلم ترد على ندائه نعجة واحدة . فذهب الى السياج . فلاحظ على الفور وجود كسر في السياج . وفي تلك الفجوة بين السياج شاهد آثار أقدام الأغنام . فتبع آثار الأقدام حتى مشارف الغابة ولكن الأغنام لم تكن موجودة هناك . فراح ينادي مرة أخرى وردد اليه صدى صوته عبر الوادي . ولكن لم تظهر اية أغنام . فتوغل بين الأشجار وصعد الى التل الواقع خلفها . وهنالك فوق قمة التل شاهد الخطوط الخارجية المظلمة لكلبه الصغير في مواجهة السماء . فقد كان واقفا عند زاوية الحقل حيث يوجد هنالك سور يغطي حافة صخرة منحدرة .

وهبطت على دهن جبرييل الحقيقة المروعة • وبدأ يشعر بالاغماء والخوف وهو يتقدم الى احدى النقاط التى تحطم عندها السور • وهنالك رأى مرة أخرى آثار أقدام نعاجه • ولمس الكلب بأنفه المبلل يد جبرييل كما لو كان يتوقع نوعا من المكافاة نظير خدماته •

ونظر جبرييل عبر الصخرة • وهنالك شاهد النعاج مستلقية وميتة عند سفح الصخرة •• أكوام من جثث النعاج الميتة التى تضم فى احشائها ٢٠٠ حمل على الأقل لم تتم ولادتها •

لقد كان جبرييل انسانا يتصف بالقلب الرحيم والشفقة الشديدة • ولذلك كان أول شعور ينتابه هو الشعور بالشفقة والحزن على مصير هذه المخلوقات اللطيفة الرقيقة •

الا انه تذكر بعد لحظات ان تلك المخلوقات غير مؤمن عليها • ولذلك فان كافة المدخرات التى حققها فى حرص وعناية قد ضاعت للأبد فى لحظات قليلة •

وبذلك ضاعت كل آماله فى ان يصبح فلاحاً مستقلا • ضاعت تلك الآمال للأبد •

لقد بذل جهودا مضنيه للغاية لكى يتمكن من الوصول الى تلك المرحلة من التقدم التى حققها ، حتى انه شعر انه لم يعد لديه الطاقة التى تعينه على بدء حياته من جديد مرة اخرى • فانحنى راسه وغطى وجهه بيديه •

ولكن كان من الطبيعى بالنسبة لشخصية جبرييل ان تكون العبارة الوحيدة التى نطق بها عقب هذه الصدمة هى عبارة شكر وحمد لله :

ـ اشكرك يارب على أننى لم اتزوج ! فماذا كانت ستفعل زوجتى بعد احساسها الفقر الذى ساعانى منه بالتاكيد ابتداء من الآن ؟ •

ورفع راسه اخيرا ونظر الى كلبه الصغير المسكين• لا بد وأنه قد اعتقد انه طالما قد كلف بمهمة قيادة الأغنام فانه كلما ساقها أكثر كلما كان ذلك افضل

ولذلك فقد راح يطاردها عبر التل بسرعة كبيرة حتى انها تسببت في كسر جزء من السور وانطلقت فوق الحافة . لقد عد الكلب المهمة المكلف بها باخلاص شديد للغاية يستحق عليه رميه بالرصاص .

وكان أحد التجار قد زود جبرييل بهذه الأغنام لأنه كان يثق في جبرييل ونشاطه وطموحه . وكان يحصل على ثمن الأغنام بالتقسيط المريح . واكتشف جبرييل انه اذا باع كل ما لديه من ممتلكات فانه سيتمكن من تسديد كافة ديونه تقريبا . فقام بتسديد ديونه واصبح لا يمتلك سوى الملابس التي يرتديها . اصبح رجلا حرا لا يمتلك اى شيء سوى ملابسه .. !

الفصل السادس

كان اى رجل يرغب في الحصول على مهنة جديدة يذهب الى السوق في كستربودج وهي المدينة الرئيسية في مقاطعة دورسيت في يوم معين من شهر فبراير من كل عام . ففي ذلك اليوم كان يتجمع مئتان أو ثلاثمائة من العمال المتشبثين بالآمال في تلك السوق ويرتدون علامة تدل على نوع الحرفة التي يمارسونها ، وذلك حتى يمكن لأصحاب العمل معرفة نوع المهنة التي يرغب فيها العامل من أول نظرة الى تلك العلامة .

ووقف جبرييل بين هذا الحشد الغفير من العمال

باحثا عن وظيفة مدير مزرعة ، كان أكثر شحوبا فى تلك الآونة وكانت تعبيرات الحزن على وجهه أعمق وأشد عن ذى قبل . الا أن متاعبه ومشغولياته كانت قد ذهبت الى غير رجعة ، وأصبح لديه شعور بالهدوء والسكينة على نحو لم يمارسه أبدا من قبل .

وما ان انقضت فترة ما بعد الظهر حتى بدأ يشعر بالارهاق والتعب والملل من الوقوف فى السوق . واخيرا قرر أن يعرض نفسه للعمل كراعى للأغنام ، بعد أن اتضح له أن جميع الفلاحين يرغبون فى الحصول على رجال يقومون بمهنة رعى الأغنام . فذهب الى دكان للملابس واستبدل ملابسه المتسخة بثياب أخرى فضفاضة ومعها عصا الرعى وهما بمثابة العلامة التى تدل على مهنة رعى الأغنام .

ولاحظه العديد من الفلاحين الا أن المحادثة كانت تتم دائما على هذا النحو .

ـ من أى بلد جئت ؟

ـ من نوركومب .

ـ وما هى المزرعة التى عملت بها فى آخر مرة ومن صاحب تلك المزرعة ؟

ـ عملت فى مزرعة خاصة بى !

وكانت هذه الاجابة الأخيرة تجعلهم يتراجعون بعيدا عنه كما لو كان مصابا بمرض معدى .

وحل المساء دون أن يتمكن جبرييل من العثور على مستخدم يقبل تشغيله عنده . الا أنه علم أن تجمعا مماثلا سيتم عقده فى اليوم التالى فى شوتسفورد الواقعة على مسافة عشرة أميال على الجانب الآخر من وذربرى .

وذربرى ! ان وذربرى هى المكان الذى ذهبت اليه باتشيبا . وكانت هذه الحقيقة بمثابة الخروج من الليل الدامس الى ضوء النهار الساطع . ربما تكون باتشيبا قد غادرت ذلك المكان منذ فترة طويلة ، الا أنه قرر أن يقضى ليلته هناك وهو فى طريقه الى شوتسفورد .

وسار على قدميه مسافة تتراوح ما بين ثلاثة اميال

واربعه أميال وبعدئذ حل الظلام • وعند سمع تل يالسرى عبر على عربة عند جانب الطريق بدون أية خيول وبدو أنها قد تركت هنالك لتبقى طوال فترة الليل • وكان جبرييل قد سار على أقدامه منذ ظهور بشائر الصباح فشعر بالرغبة الشديدة في النوم في القش الموجود فوق العربة لأنه لو واصل المسير الى ودربرى سيضطر لدفع نفقات المبيت هناك • وتناول آخر ما لديه من قطع الخبز واللحم وأعد لنفسه مكانا يبيت فيه بين القش ثم راح في نوم عميق على الفور •

واستيقظ فجأة فأدرك ان العربة تتحرك ووراءى ى سمعه أصوات قادمه من مكان ما في مقدمة العربة •

ـ انها جميلة وجذابة ولكن ذلك ليس سوى مظهرها الخارجى • فهؤلاء النساء الرائعات الجمال مغرورات مثل الشياطين •• ويقول الناس عنها انها مغرورة للغاية فهى فى كل ليلة تذهب فيها للنوم تنظر فى المرآة لكى تضع على رأسها طاقية النوم بطريقة سليمة !

وهى ليست متزوجة • يا لها من دنيا غريبة ! • وهم يقولون عنها انها تستطيع العزف على البيانو بنفس المرح الذى يعزف به أى رجل ولكن كيف تتمكن من دمج نغمات العزف على البيانو ؟ يا مستر بيل سمالبرى "

ـ هذا هو ما لا اعرفه حتى الآن يا مستر جوزيف بورجراس •

وهنا مرت فكرة جامحة كالوميض فى ذهن جبرييل ربما كانا يتحدثان عن باتشيبا فيما عدا السؤال عن كيفية دمجها لنغمات العزف على البيانو • وعلى أية حال فقد اصبحوا قريبين من ودربرى ثم انزلق فى هدوء خارجا من العربة لكى لا يزعج اصحابها • وكان على وشك مواصلة المسير عندما لاحظ وجود ضوء غير عادى على مسافة نصف ميل فوق الحقول • وبينما كان يرقب ذلك ازداد الضوء قوة •

كان هناك شىء ما يشتعل بالنيران • فتسلق فوق بوابة وسارع بالجرى عبر الحقول فى اتجاه النيران

اللهب · كانت السنة اللهب منبعثة من كومة من القش مشتعل في عنف وتوهج وعلى نحو يصعب فيه السيطرة على النيران · ولكن عندما هبت سحب الدخان على جانب · تمكن جبرييل من رؤية صف طويل من أكوام القمح يقع في مكان قريب خلف القش المشتعل · وكان الرجال يصيحون ويهرولون هنا وهناك في فوضى وارتباك ·

وهنا جرى جبرييل بسرعة للامام وتولى قيادة الناس على وجه السرعة حيث **صاح في أكثر الناس قربا من موقع القمح قائلا** : امنعوا النيران من الوصول الى اسفل تلك الكومة من القمح ·

وكانت كل كومة قمح مرفوعة عن الأرض فوق مجموعة من الدعائم الحجرية التى يتعذر على الفئران تسلقها ولكن اذا سكنت الرياح من نقل القش المحترق الى اسفل اقرب كومة فان جميع كومات القمح ستتعرض للتلف والاحتراق تماما ·

وتنفيذا للتعليمات الصادرة منه تم القاء قماش

ضخم من الخيشة اشرعة المراكب عبر الجانب لهذه من هذه الكومة ·

ثم **صاح جبرييل** : والآن عليكم بالوقوف هنا ومعكم جرادل الماء ·· وصبوا الماء باستمرار على قماش المراكب لكى يظل مبللا باستمرار واحضروا لى سلما !

لقد بدأ يدرك أن السنة اللهب أحدث تحرق سطح الكومه · وعندما تأخر احضار السلم راح يجاهد ويتسلق على جانب الكومة الى ان وصل الى سطحها · وكانت قطع من القش الملتهب متناثرة فى أماكن مختلفة عندما بدأ يخمد النيران مستخدما عصا الراعى التى فى يده ·

وعلى الأرض أسفل جبرييل كانت مجموعات من ملاحين تبذل قصارى جهدها للسيطرة على النيران وحسب هؤلاء الناس كانت هناك امرأة جالسة فوق حصان وامرأة أخرى واقفة الى جوارها ·

وقالت المرأة الواقفة على الأرض : انه راعى أغنام

باستطاعتك أن تشهدي عصى الأغنام الخاصة به التي تلمع أثناء قيامه بضرب النيران بها . كما أن ثوبه الفضفاض الخارجي بدأ يتعرض للاحتراق ! انه يا آنسة .. راعي أغنام شاب وسيم الشكل !

فتساءلت الفتاة المتطية الحصان والتي كان وجهها مختفيا وراء حجاب أسود اللون . ترى عند من من الفلاحين يعمل هذا الراعي ؟

ــ لا أعرف يا آنسة . وباقي الناس لا يعرفون أيضا . وهم يقولون أنه شخص غريب ..

ثم التفتت نحو رجل واقف بالقرب منها وتساءلت : هل تمت السيطرة على النيران الآن يا جان كوجان ؟

ــ نعم . أعتقد ذلك . وقد تم انقاذ القمح .. ذلك الراعي الشجاع هو الذي أنقذ القمح .. ذلك الشخص الواقف فوق قمة الكومة والذي يلوح بيديه الطويلتين مثل الطاحونة الهوائية !

فقالت المرأة المتطية الحصان : انه يقوم بعمل مضن وشاق . واستطردت : أتمنى أن يعمل في مهنة رعي الأغنام معنا هنا . يا ماريان اذهبي اليه لدى نزوله من فوق الكومة وقولي له أن الفلاحة صاحبة الأرض ترغب في توجيه الشكر والامتنان له ..

فانطلقت ماريان وابلغته الرسالة .

فتساءل جبريل وقد شعر بالاثارة والبهجة بعد أن راودته فكرة احتمال حصوله على عمل وأين سيدك الفلاح صاحب الأرض ؟

ــ سيد الأرض ؟ .. انها سيدة أيها الراعي . ها هي موجودة هنالك فوق ظهر الحصان وقد وضعت قناعا على وجهها لأن عمها قد انتقل الى رحمة الله .

وكان وجه جبريل قد تلطخ باللهب الأسود والدخان والأوساخ الناجمة عن النيران بحيث يصعب التعرف على ملامح وجهه وكان رداؤه الفضفاض قد احترق في معظم أجزائه . وكانت قطرات الماء تتساقط

من ردائه بينما كان يسير في تواضع متجها نحو المرأة الشابة الراكبة فوق سرج الحصان . ثم قال في تواضع وبصوت تشوبه التأتأة والتردد : هل تريدين راعيا للأغنام يا سيدتي ؟

فرفعت الحجاب من وجهها ونظرت اليه في دهشة بالغة . لقد تقابل جبريل مع محبوبته باتشيبا الغائبة من المشاعر العاصفة مرة أخرى وجها لوجه . ولكن باتشيبا لم ترد على تساؤله فاضطر لأن يكرر تساؤله بصوت حزين يدل على أنه مدرك للوضع الأليم الذي تردى اليه . هل تريدين راعيا للأغنام يا سيدتي ؟

الفصل السابع

وانزلت باتشيبا الحجاب على وجهها مرة أخرى . وانتابتها مشاعر مختلفة . أكان عليها أن تشعر بالتسلية ازاء غرابة هذا اللقاء الذي جمع بينهما بطريق المصادفة ، أم كان عليها أن تشعر بالاضطراب بسبب حساسية اللقاء ؟!

فتمتمت قائلة وهي تضفي على وجهها طابع الوقار:

ــ نعم . أنا في حاجة الى راع للأغنام . ولكن

فقال احد القرويين فى هدوء : انه الرجل المناسب للقيام بهذه المهنة يا سيدتى !

ثم قال قروى آخر فى تأكيد قاطع : نعم . انه مناسب تماما لهذا العمل .. وايد هذا القول شخص ثالث وشخص رابع .

فقالت باتشيبا : اذن قولوا له أن يتحدث فى هذا الشأن مع مدير المزرعة الخاص بى . **واضافت** : وينبغى عليكم جميعا ان تحصلوا على قدر من الانتعاش والشراب والطعام عقب هذا المجهود الاضافى الذى قمتم به . ايمكنكم التفضل بالمجىء الى المنزل ؟

فقال الرجل الاول : من الافضل أن نتناول الطعام والشراب فى الحانة لأن ذلك يعطينا المزيد من الحرية ونرجو ان ترسلى لنا الطعام والشراب الى الحانة يا سيدتى !

فانطلقت باتشيبا بحصانها مخترقة الظلام .

وبدأ الرجال يتهادون فى مسيرهم نحو القرية ،

وقد ساروا فى مجموعات تضم كل مجموعة رجلين أو ثلاثة رجال تاركين جبرييل بمفرده مع مدير المزرعة الذى كان قد وصل لتوه . وعندما تم الاتفاق على الاستعانة بجبرييل كراع للأغنام ، تساءل جبرييل عما اذا كان مدير المزرعة سيوفر له مسكنا ينام فيه .

فقال مدير المزرعة فى برود : لا . لا أستطيع ذلك . ولكنك اذا سرت وراء الرجال فى اتجاه الحانة فان واحدا منهم سيقدم لك النصيحة فى هذا الشأن . ليلة سعيدة ايها الراعى !

وانطلق جبرييل فى اتجاه القرية . وبينما كان يمر بجوار فناء الكنيسة لاحظ وجود هيكل ما واقف خلف شجرة . وعندما اقترب تبين له أنها فتاة لا ترتدى سوى الملابس التى ترتديها الفتيات فى داخل المنازل .

فقال جبرييل فى ابتهاج : مساء الخير !

فردت الفتاة : مساء الخير !

وكان صوتها جذابا بشـــكل غير متوقع ..

كان صوتهـــا يتميز بالنغمة العذبة المنخفضـــة التي يتميز بها صوت فتاة تمر بتجربة حب عنيف .

وتساءل جبرييل : أيمكنك أن تخبريني عما اذا كنت اسير في الاتجاه الصحيح المؤدى الى الحانة ؟

وكان جبرييل يرغب بالفعل في ان يعرف ذلك ، ولكنه كان يرغب أيضا في سماع المزيد من صوتهـا العذب .

ـ انت في الاتجاه الصحيح . فالحانة توجد عند سفح التل .

واعتريها الحيرة والتردد وهي تنظر لأسفل نحو موضع قدميها . ثم اضافت قائلة في عصبية : أرجوك ألا تقول اى شيء عني عندما تصل الى القرية لا تقل انك قد شاهدتني هنا .. أرجوك أن تلتزم بالصمت مدة يوم واحد أو يومين .. ممكن ؟!

فقال جبرييل : اعدك بذلك طالما أنك لا تريدين مني أن اتحدث عن مشاهدتي لك .

وعندما لاحظ أنها ترتعش من البرد اضاف قائلا : كان ينبغي عليك أن ترتدي عباءة في مثل هذه الليلة الباردة . أنصحك أن تعودي الى منزلك !

فصاحت : لا . لا . أرجوك أن تواصـــل المسير وتتركني وشأني !

فقال : سأستمر في طريقي .. ثم اضاف في تردد : لو كنت في حاجة الى نقود أرجوك أن تقبلي مني هذا المبلغ الضئيل . انه شلن واحد ، ولكنه كل ما يمكنني الاســـتغناء عنه من نقود . وانا الراعي الجديد . ولقد وصلت الى هنا توا .

فقبلت منه الشلن في امتنان . وتلامست يداهما في الظلام واحس بنبض الدماء يضرب بقوة في معصمها فسألها : ماذا في الأمر ؟

ـ لا شيء . انصرف الآن من فضلك واكتم خبر لقائي معك !

ـ حسنا . لن اتحدث مع أحد عن لقائي بك . طابت ليلتك !

ـ طابت ليلتك وشكرا جزيلا !

وظلت الفتاة واقفة دون حراك بجوار الشجرة وسار جبرييل الى قرية وذربرى ..

الفصل الثامن

وراح جبرييل يتحسس بيده باب الحانة إلى أن عثر على الشريط الجلدي لسقاطة الباب ، فجذبه فارتفع المقبض لأعلى في الداخل ، وفتح الباب على مصرعيه وجاء صوت رجل عجوز مناديا

-ادخل أيها الراعي .مرحبا بك رغم أننا لا نعرف أسمك ؟

-أسمي جبرييل أوك ياجرانيي

-الست حفيد جبرييل أوك العجوز الذي هو من

نوركوس ؟ لقد تعرفت عليك عندما رأيت وجهك وأنت واقف فوق كومة القمح . لقد كنت صديقا حميما لجدك والآن يجب عليك أن تتناول معنا الشراب !

ثم قال موجها كلامه لابنه جاكوب : ارفع الجرة لترى ما اذا كانت دافئة !

فانحنى جاكوب سمولبرى على الجرة ذات المقبضين الطويلين والواقفة بين رماد النيران . وغمس أصبعه فى عصير التفاح لمحاولة معرفة مدى درجة حرارته . ثم رفع الجرة وحاول فى أدب ازالة بعض الرماد العالق بها مستخدما ذيل ردائه ، نظرا لأن الراعى اوك كان شخصا غريبا وضيفا بالنسبة لهم .

واصدر الرجل العجوز اوامره : أحضر فنجانا نظيفا من أجل الراعى !

فقال جبرييل : لا . لا داعى لذلك . فالقذارة لا تقلقنى اذا كنت أعرف نوعها ..

ثم امسك بالجرة وشرب منها بمقدار بوصة او اكثر من أعماقها ثم ناولها الى الرجل التالى .

واستطرد الرجل العجوز : وهناك قدرا من الخبز واللحم الذى أرسلته ربة البيت . **ثم قال** : لقد وقعت منى اللحوم على الطريق أثناء احضارى لها ولذلك فقد اختلطت بالرمال . ولكن لا تجعل أسنانك تتلاقى تماما لكى لا تشعر بالرمال فى فمك على الاطلاق !

وكانت الجرة فى تلك الآونة بين يدى جان كوجان وهو رجل أحمر الوجه ، وكان مغرما باقتسام الأشياء مع الآخرين . **وقال لرجل له شعر كثيف فوق حاجبيه** :

ـ اشرب يا هنرى فراى !

ولم يرفض هنرى العرض . **ثم قال** :

ـ هيا يا مارك كلارك ما زال يوجد المزيد فى البرميل .

فرد مارك فى شىء من الفكاهة : وهو كذلك . هى طبيبى الوحيد !

ثم صاح جان فى وجه رجل خجول ومرتبك بسبب

وجود شخص غريب . وكان ذلك الرجل جالسا في المؤخرة ثم دفع بالجرة بين يدى ذلك الرجل .

وقال جاكوب سموليري : انه رجل خجول . انك يا جوزيف ليس لديك الشجاعة التي تمنيك على مجرد النظر في وجه ربة البيت الشابة . فلماذا تخجل يا جوزيف على هذا النحو ؟

فقال جوزيف مبتسما ابتسامة خفيفة : انني لا أكاد أنظر اليها على الاطلاق . وعندما أحاول النظر اليها يدب الخجل والارتباك في كياني !

وقال جان كوجان : وهو أيضا شخص عصبي أيها الراعي اوك . فذات مرة كان عائدا للمنزل متأخرا بالليل عن طريق غابة ياليرى . فضل الطريق . وراح يصيح بأعلى صوته : النجدة . النجدة .. انقذوني لقد ضعت للأبد ! .. وتصادف أن صاح طائر فوق شجرة : هو Whoo هو Whoo هو Whoo مثلما تفعل طيور الليل .. وعندئذ ارتعد جوزيف وأجاب : أنا جوزيف بورجراس من وذربرى يا سيدى !

وهنا قال الرجل العصبي في شجاعة فجائية :

ـ لم يحدث أن قلت أبدا .. يا سيدى ، للطائر .. أقسم لكم أنني لم أقل تلك الكلمه للطائر .. !

ولكن جان كوجان كان قد بدأ يقص رواية أخرى وهكذا أخذ المساء يمضى مع الأغنيات والقصص والروايات وثرثرة القرويين الى أن نهض جبرييل واقفا وانطلق مع جان كوجان الذي أخذه معه ليبيت معه في مسكنه .

وكان الآخرون على وشك الانصراف عندما حضر اليهم هنرى فراى الذى كان قد ذهب الى منزله في وقت مبكر . حضر اليهم وهو يتفجر بالاثارة .

فتساءل جوزيف في ذعر : ماذا في الأمر يا هنرى؟

ـ ان الأمر يتعلق بالسيد بنيوايز مدير المزرعة . فقد ضبطته الآنسة أفردين متلبسا بالسرقة . اذ شاهدته وهو يتسلل خارجا من مخزن الغلال ومعه

نصف زكيبة من القمح · فاندفعت نحوه كالقطة ·· انتم بالطبع ستعتبرون تعليقاتي أمرا سريا ؟

ـ سنحفظ السر يا هنري · سنحفظ السر !

ـ حسنا · لقد هجمت عليه كالقطة الشرسة ·· واعترف هو بانه قد استولى على خمس حقائب مليئة بالغلال · ولذلك فقد طردته من وظيفته · والمسالة الآن هي : من الذى سيقوم بمهمة المدير مكانه ؟

وكانت المسالة خطيرة للغاية حتى أن هنرى قد احتاج لتناول جرعة كبيرة من شراب السيدر · وقبل أن يعيد الجرة فوق المنضدة دخل « ليبان تول » الى المكان بسرعة هائلة وتساءل : هل سمعتم الأنباء التى سرت فى جميع ارجاء الأبرشية ؟

ـ اهى الانباء التى تتعلق بالسيد بيوايز مدير المزرعة ؟

ـ ليس ذلك فقط · انها أنباء تتعلق بالآنسة فانى روبين وهى أصغر الخادمات عند الآنسة افردين ··

فهذه الفتاة قد اختفت ولم يعثروا لها على أثر · وكانوا فى حالة انتظار لكي يغلقوا الأبواب ويذهبوا للفراش للنوم ولكنهم يخشون أن يغلقوا الأبواب فيؤدى ذلك الى احتجازها خارج المنزل · ولقد كانت هذه الخادمة فى حالة نفسية سيئة طوال الأيام القليلة الماضية حتى أنهم يظنون ان مكروها قد حدث لها ··

وجاء صـــــوت خشن من بين شـفتى جـوزيف بورجراس الجافتين : « أوه · لقد احترق جسدها · احترقت حتى الموت !

فقال ليبان : لا · انها لم تحترق ولكنها غرقت !

وهنا قال بيل ابن جاكوب سمولبرى : أو ربما هى قد قتلت نفسها مستخدمة الموسى الخاص بوالدها ·

حسنا · ان الآنسة افردين ترغب فى التحدث مع عدد منا قبل أن تذهب للنوم ، فهذه الآنسة ثائرة للغاية بسبب المتاعب التى سببها مدير المزرعة وبسبب تغيب هذه الخادمة !

واسرعوا على طول الحارة نحو منزل المزرعة حيث ظهر امامهم رأس باتشيبا يطل من نافذة غرفة النوم ٠

وتساءلت فى قلق : هل هناك أى واحد من رجالى بينكم ؟

واستطردت : فى الصباح الباكر غدا أريد أن يذهب اثنان أو ثلاثة منكم للاستفسار والبحث فى القرى المجاورة لمعرفة ما اذا كانوا قد شاهدوا خادمتى فانى روبين ٠ وارجو منكم أن تنفذوا ذلك فى شىء من الهدوء ، فليس هناك ما يدعو للذعر والقلق حتى الآن ٠ نحن نؤكد أنها غادرت المنزل أثناء انشغالنا جميعا فى اخماد النيران ٠٠

فتساءل جاكوب سمولبرى : هل لها حبيب من الشبان الصغار ؟

وجاء صوت ماريان متراميا من نافذة اخرى :

ـ ليس لها حبيب هنا ٠ فحبيبها يعيش فى

كستربردج وأنا أعتقد أنه جندى ٠ ولكنى لا أعرف اسمه ٠ فهى احتفظت بالاسم لنفسها واعتبرته سرا لا يمكن البوح به ٠٠

فقال بيلى : ربما أتمكن من العثور عليها اذا ذهبت الى ثكنات كستربردج ٠

فقالت باتشيبا : حسنا ٠ اذا لم تعد هى الينا فى صباح الغد اذهب الى هناك وحاول أن تعرف من هو هذا الجندى ، وحاول أن تقابله ٠ فأنا أشعر انى مسئولة عنها حيث أنها ليس لها أصدقاء او اقارب ٠ وآمل ألا تكون قد تعرضت لأية متاعب ٠ وافعل كما أمرتك به ٠٠

ثم أغلقت النافذة ٠

ومر الرجال بالقرب من كوخ كوجان أثناء سيرهم فى طريق العودة الى منازلهم ٠ وكانت الأضواء قد أطفئت فى ذلك المنزل ، ولكن جبرييل لم يكن نائما ٠

اذ كان ذهنه مشغولا تحت جفنيه المغلقين بالصور الذهنية والحركة الدؤوب مثل نهر يتدفق بسرعة فوق ثلوجه . لقد كان الليل دائما هو الوقت الذى يشاهده فيه باتشيبا فى مزيد من الوضوح ومن خلال الساعات الطيبة للظلام راح خياله يرقبها فى رقة ورعاية .

الفصل التاسع

لقد كان بيت مزرعة ودربرى العليا بمثابة مبنى حجرى قديم فخم . وكان فى يوم ما مسكنا لأسرة هينة تمتلك جميع الأراضى فى الأبرشية . ولكن هذا البيت قد أجر فيما بعد مع الأراضى الزراعية المحيطة به ، من مالك للأرض يمت بصلة قرابة للمالك الأصلى من بعيد . وكانت واجهة هذا البيت والأجزاء الأمامية منه ما زالت تحمل طابع الوقار والفخامة التى يتميز بها المنزل الخاص لرجل جنتلمان . ولكن الأجزاء الخلفية من هذا البيت كانت تموج بحياة المزرعة المليئة بالعمل والحيوية

والمركة ، حيث كانت باتشيبا تحتفظ باربعة خادمات لانجاز شئون المنزل • اذ كانت هناك ليدى سمولبرى وهى حفيدة صاحب الحانة ، وهى فتاة من نفس عمر باتشيبا وتعمل عندها كخادمة خصوصية ومرافقة شخصية لها • وكانت هناك مسز كوجان الطاهية كما كانت هناك ماريان • هذا بالاضافة الى فانى روبين التى لاذت بالفرار •.

وفى الصباح عقب اختفاء فانى كانت باتشيبا جالسة مع « ليدى » على الأرض فى احدى حجرات الدور العلوى ، حيث كانت تقوم بفرز وتصنيف مجموعة الكتب والأوراق المتربة الخاصة بعمتها التى انتقلت الى رحمة الله • ومن خلال الباب الموارب كان باستطاعتهما مشاهدة ماريان التى تقوم بتنظيف الغرفة التالية •

قالت باتشيبا : انصتى ! انتبهى !

لكن هناك وقع اقدام حصان أخذ فى الاقتراب من واجهة المنزل • وبعدئذ طرقت عصا على الباب • **فقالت ليدى وهى تنظر من النافذة** : يا الهى انه جنتلمان ! ••

واستطردت : باستطاعتى رؤية الجزء العلوى من قبعته •

فقالت باتشيبا : التزمى بالهدوء !

وقرعت العصا فوق الباب مرة أخرى بصوت أعلى •

فتساءلت باتشيبا : لماذا لا تذهب مسز كوجان الى الباب ؟ • **واستطردت** : يا ماريان اذهبى أنت الى الباب ••

ولكن ماريان اعترضت على ذلك وقالت أن يديها غير نظيفتين •

ـ يا ليدى ينبغى عليك أن تذهبى لتفتحى الباب!

ولكن ليدى كانت غارقة فى التراب والرماد وأخيرا شعرت باتشيبا بالارتياح عندما سمعت مسز كوجان تفتح الباب **وترامى الى سمعها صوت عميق يقول** :

ـ هل الآنسة الفردين موجودة بالبيت ؟

وبعد لحظات ظهرت مسز كوجان وقد معطت دراعاها بالدقيق **وقالت** : لقد كنت أقوم بخبز قدر من الخبز يا آنسة . ويوجد هنا الآن المستر بولدوود حيث يريد مقابلتك ..

ان ملابس المرأة هي جزء من شكلها العام **ولذلك قالت باتشيبا على الفور** : لا أستطيع مقابلته واما في هذه الحالة . فماذا عساى ان أعمل ؟

فقالت ليدي : يمكنك ان تقولي انك مغطاة بالتراب ولا تستطيعين النزول الى الدور الأول .

ـ قولي انك لا تستطيعين مقابلته ... وهذا يكفي لانهاء الموقف .

وهبطت مسز كوجان على السلالم الى الدور الأول . وقالت نفس الاجابة التى اقترحتها ليدي **فقال الصوت العميق في غير اهتمام** : حسنا . كنت فقط اريد أن أسأل عما اذا كنتم قد سمعتم أية أنباء عن فاني روبين !

ـ لا توجد أية أنباء يا سيدى . ولكن وليام سمولبرى ذهب الى كستربردج التى يعيش فيها حبيبها . ويقوم الرجال الآخرون بالبحث عنها في كل مكان .

وتراجع وقع أقدام الحصان متلاشيا تدريجيا واغلق الباب .

فتساءلت باتشيبا : من يكون المستر بولدوود ؟

ـ انه الجنتلمان صاحب مزرعة وذربرى السفلى .

ـ هل هو متزوج ؟

ـ لا يا آنسة .

ـ كم يبلغ عمره ؟

ـ في حدود اربعين عاما . **وهو وسيم للغاية** .. ويميل الى الوقار والرزانة . بالاضافة الى أنه غني ..

فصاحت باتشيبا في ضيق وتبرم : ان التراب يسبب لنا الكثير من المضايقات والمتاعب !! .. **ثم استطردت** : ولكن لماذا يستفسر هو عن فاني ؟

ـ لأنها لم يكن لها اى أصدقاء أثناء فترة طفولتها لتعهدها وعلمها فى المدارس ، وبعدئذ الحقها بالعمل هنا عند عمتك · انه رجل شفوق للغاية · ولكنه شخص ميئوس منه بالنسبة للسيدات · فجميع الفتيات الشابات فى هذه المنطقة قد حاولن التودد اليه والفوز به · ولقد أنفقت ابنة فارمر ايميز عشرين جنيها على شراء الملابس الجديدة من أجل ان تجذب انتباهه اليها ، ولكنها لم تفلح فى هذا الشأن ، وأصبح حالها كأنها قد ألقت بعشرين جنيها من النافذة · هل حدث ان تقدم اليك اى شاب للزواج منك فى أى وقت من الأوقات يا آنسة ؟

وقد تجرأت على توجيه هذا التساؤل عندما انصرفت ماريان ونزلت الى الدور الأول ·

فصمتت باتشيبا قليلا ثم قالت : لقد تقدم لى رجل يطلب الزواج منى ذات مرة ·

وقفزت الى ذهنها صورة جبرييل أوك وهو واقف

خارج كوخ عمتها · ثم أضافت : ولكنه لم يكن الشخص المناسب لى تماما ··

ـ انه من الممتع ان ترفضى الزواج من رجل بينما معظمنا على استعداد للترحيب بالزواج · يخيل لى أنك قد قلت « قبل قدمى يا سيدى لأن وجهى لا يقبله لا الأفواه الأكثر غنى » ·· وهل كنت تشعرين نحوه بالحب يا آنسة ؟

ـ اوه · لا · كنت فقط ارتاح اليه بعض الشيء ·

وتوقفت قليلا عن الكلام ثم أضافت : انتبهى · الرجال قادمون · دعيهم ينتظرونى فى المطبخ الى ان انتهى من ارتداء ملابسى وبعدئذ أحضريهم لى فى القاعة ·

وبعد نصف ساعة جلست باتشيبا الى منضدة واستعدت لدفع الأجور للرجال · وقالت : قبل البدء فى تسديد مستحقاتكم اود ان اقول لكم ان مدير المزرعة قد تم طرده بسبب ارتكابه جريمة السرقة · ولقد قررت انجاز الأعمال بدون مدير للمزرعة حيث سأقوم انا بنفسى بانجاز الأمور بدلا منه ··

وسهى جميع الرجال من دهشة بالغة · الا أنهم تقدموا الواحد تلو الآخر للحصول على أجورهم بدون ابداء أى تعليق على غرابة هذا القرار · وعندما انتهت من تسديد مستحقاتهم اغلقت دفتر الحسابات وتساءلت عما اذا كان أى فرد منهم قد عرف معلومات وأخبارا عن فانى · ولم يكن لديهم اية أخبار عنها ولكن فى تلك اللحظة تراءى وقع أقدام فى الممر · فقد رجع بيل سمولبرى عائدا من كستربردج ·

وقال : كنت ساصل اليكم هنا فى وقت مبكر يا آنسة لولا رداءة الطقس ·

ولاحظ الجميع فجأة وجود الجليد فوق حذائه · ولا بد أن الجليد قد بدأ يتساقط خلال الساعة الأخيرة ·

فقالت باتشيبا وقد نفد صبرها : حسنا وماذا عن فانى ؟

فقال وليام : لقد هربت مع الجنود · فقد غادر

الحرس الملكى الحادى عشر لسلاح الفرسان كاستربردج فجأة · وقد مر هذا الحرس بالقرب منا هنا فى طريقهم نحو ميلشستر · وكان حبيب فانى واحدا من رجال الحرس الملكى · وهى قد ذهبت وراءه ··

ـ هل عرفت اسمه ؟

ـ لا يا آنسة · ولكنى اعتقد ان رتبته العسكرية اعلى من الجندى العادى ·

فقالت باتشيبا وهى تنهض واقفة أمام المنضدة :

ـ حسنا · يستحسن ان يذهب واحد منكم لابلاغ فارمر بولدوود بهذه المعلومات ·· **واستأنفت** : والآن تذكروا أننى سأقوم بالعمل بدلا من مدير المزرعة · وسأبذل قصارى جهدى · واذا أخلصتم فى العمل سأكافئكم على اخلاصكم · ولا أريد من أحدكم أن يلجأ للحيل المخادعة والأعمال الدنيئة مستغلا وضعى كامرأة· ولسوف استيقظ من النوم قبل أن تستيقظوا · ولسوف

اذهب الى المزرعة قبل أن تذهبوا اليها • فصارى القول انني سابهركم جميعا واثير دهشتكم • طابت ليلتكم •!

وانسابت باتشيبا المرتدية ثوبها الحريرى الأسود فى هيبة جليلة خارجة من الصالة بينما ليدى تسير وراءها فى فخر واعتزاز •

الفصل العاشر

وفي ساعة متأخرة من هذا المساء الثلجى ، كان هناك هيكل وحيد يتحرك بجوار ضفة النهر الصغير الذى يقع على مسافة أميال عديدة شمال وذربرى • وعلى الجانب الآخر من النهر كان يوجد الحائط العالى لبعض ثكنات الجيش •

وعندما دقت ساعة حائط مجاورة العاشرة مساء توقف الهيكل وبدا عليه كأنه يعد النوافذ في الحائط العالى • ثم انحنى وبعدئذ طارت كرة ثلجية عبر النهر نحو النافذة الخامسة • ولكن الكرة اخطأت النافذة ••

بهذه الرمية هى فكرة نبعت من ذهن رجل وحدهـــا امرأة • وتوالت المحاولات الواحدة تلو الأخرى • وأخيرا ضربت كتلة ثلجية النافذة •

ولم يسمع شيء كرد على هذه الاشارة باستثناء الصوت الحريرى للنهر الناعم عن ارتطام المياه بجوانبه الا أن نافذة فتحت بعد لحظات وقال صوت ما :

ـ من هناك ؟

فتساءل الهيكل الواقف بين الثلـج فى عصبية بالغة : أأنت الرقيب تروى ؟

فرد الصـــوت فى شيء من الريبـــة والشـــك : نعم • من أنت أيتها الفتاة ؟

فصاح الهيكل : أوه • فرانك • ألا تعرفنى ؟ • اننى حبيبتك فانى روبن !

فصاح الصوت فى دهشة : فانى ! اننى لم أتوقع مجيئك فى هذه الليلة •

ـ لقد قلت اننى باستطاعتى المجيء • فسألت شخصا ما عن رقم نافذتك • اغفر لى ! ولكنك سعيد برؤيتى أليس كذلك يا فرانك ؟ هل باستطاعتك •• هل يمكنك المجيء الى ؟

ـ أنا بالطبع مسرور لرؤيتك ولكن بوابات الثكنات مغلقة فى هذه الليلة • كيف جئت الى هنا قادمة من ودربرى ؟

ـ لقد قطعت جزءا من الطريق سيرا على الأقدام ثم ركبت فى عربة يجرها حصان • أوه • يا فرانك • متى سيتم ذلك الأمر ؟

ـ ماذا تقصدين ؟

ـ أقصد ذلك الأمر الذى وعدتنى به •

ـ اننى لا أتذكر تماما •

ـ أوه •• لا تتذكر •• لا تقل هـــذا الكلام • فكلامك هذا يؤذى مشاعرى • أنت تدرك تماما معنى

كلامي .. متى ستتزوج يا فرانك ؟

ـ أوه . فهمت . حسنا .. ينبغي عليك أولا الحصول على الملابس الملائمة . وينبغي أن نبلغ الكنيسة عن رغبتنا في الزواج .

ـ نعم . أوه فرانك . أنت تعتقد انني ادفعك الى ذلك الزواج دفعا . ولكني أحبك حبا صادقا عنيفا .

وأنت قلت لي مرات عديدة انك ستتزوجني و .. و .. وانا .. انا ...

ـ لا تبكي الآن . من السخف ان تبكي هكذا . اذ كنت قد قلت لك هذا الكلام فانا سوف انفذ كلامي بالطبع !

ـ هل ستبلغ القسيس برغبتك في الزواج غدا ؟

ـ ليس غدا . سأبلغه في خلال أيام قليلة . فانا ينبغي على أولا الحصول على تصريح من الضابط الدين يراسوسي . وحقيقة الأمر انني قد نسيت التقدم بطلب

للحصول على تصريح مهم . وحضورك على هذا النحو هو أمر فجائي للغاية وغير متوقع تماما .

ـ نعم . انني قد أخطأت بتصرفي هذا الذي سبب لك المتاعب . ولسوف انصرف الآن . هل يمكنك المجيء لمقابلتي غدا عند مسز تويلز بمنزلها بشارع بورث ؟ فانا لا اود المجيء مرة أخرى الى الثكنات . ففي هذا المكان توجد الكثير من الفتيات الماهرات وهن يعتقدن انني منحرفة مثلهن !

ـ وهو كذلك . سأجيء لك يا حبيبتي . طابت ليلتك !

ـ طابت ليلتك يا فرانك . طابت ليلتك !

واغلقت النافذة . وتحرك الهيكل مبتعدا .

وعندما ابتعد الهيكل تماما صدرت صيحة من وراء حائط : أوه . أيها الرقيب . أوه ! أوه ! .

وتلاشت اجابة غاضبة بين انفجار من الضحكات الخافتة التي تلاشت بدورها في أصوات هدير المياه في مجرى النهر في الخارج .

الفصل الحادى عشر

كانت اول الدلائل الهامة المترتبة على قرار باتشيبا بان تصبح فلاحة ، هى ظهورها فى يوم السوق التالى فى سوق الغلال فى كاستربردج • ولم يكن فى تلك السوق سوى شخصين أو ثلاثة اشخاص من الفلاحين المعروفين لها شخصيا ولكن الأعمال التجارية ينبغى القيام بها حتى بدون أية مقدمات او تعارف • وسرعان ما دب فيها الشعور بالثقة بالنفس حتى أنها بدات تتكلم مع الأغراب فى جرأة وشجاعة وتعرض عليهم عيناتها من القمح بالطريقة المهنية السائدة فى

كاستربردج حيث كانت تصب فى احدى يديها حبات قليلة من القمح وتعرضها عليهم للفحص •

واولئك الذين لم تعقد معهم صفقات تجارية كانوا يسألون بعضهم البعض عمن تكون هذه الفتاة ويعلمون قائلين ان شكلها الجميل يعطى بهجة واشراقا بسوق • وكان الاهتمام العام بشخصيتها قد جعلها تشعر كأنها ملكة متوجة بين هؤلاء الناس • ولكن بين الحشد الغفير الذى يضم كافة الناس كان هناك استثناء واحد فعيون النساء لا تخطىء فى ادراك مثل هذه الأمور • ولذلك ادركت باتشيبا ان هناك شخصا ما لم يكن ضمن موكب المعجبين بها •

وتحيرت من هذه الحقيقة فى بادىء الأمر • اذ كان واضحا انه جنتلمان فى مظهره الخارجى • حيث كان يرفع راسه عاليا ويتسم بالهدوء والوقار فى مسلكه • كان يتسم بالوقار والرزانة بصفة خاصة • اما عمره فكان يتراوح ما بين ٣٥ عاما و ٥٠ عاما وأدركت

باتشيبا بعريرتها أن هذا الشخص الذى لا يتأثر بسحر الجمال كان غير متزوج .

وما أن انتهت من مهامها فى السوق حتى اندفعت نحو ليدى التى كانت تقف فى انتظارها بجوار العربة الصفراء الصغيرة التى يجرها الحصان والتى جاءتا فيها الى السوق . وبعد أن انطلقتا بالعربة قالت باتشيبا : لقد كنت أمر بلحظات عصيبة يا ليدى . ولكن الأمر انتهى الآن . ولن أهتم بذلك الأمر مرة أخرى لأنهم سوف يعتادون على رؤيتى هنالك . فمنذ هذا الصباح كنت أشعر ببعض المتاعب التى تمر بها امرأة متروحة كانت العيون تحملق فى فى كل مكان . ولكن كان هناك رجل واحد عاقل لم يشأ أن يضيع الوقت فى التحملق فى !

وقالت ذلك الكلام على هذا النحو لكى لا تعتقد ليدى أنها تضايقت من ذلك الموقف . واستطردت : انه رجل وسيم للغاية . طويل القامة . يبلغ من العمر

حوالى اربعين عاما على ما أعتقد . هل تعرفين من يكون هذا الرجل ؟

ولم تستطع ليدى التعرف على شخصية ذلك الرجل . فتساءلت باتشيبا فى شىء من الاحباط : ألا يمكن أن تخمنى على الاطلاق ؟

ــ ليس لدى أدنى فكرة عنه . وعلى كل حال فالأمر لا يضايقك كثيرا طالما أنه لم يلتفت اليك ولم يهتم بك مثل الآخرين !

وكانت مشاعر باتشيبا مختلفة بعض الشىء عن مشاعر ليدى ازاء ذلك الأمر . واستمرتا فى قطع المسافات بالعربة فى صمت . وبعدئذ مرت بهما عربة متخلفة منطلقة وراء حصان رائع ، وتخطتهما بسرعة فصاحت باتشيبا : ها هو الرجل الذى حدثتك عنه !

فنظرت ليدى وقالت : ذلك الرجل ! .. انه المزارع بولدوود .. وهو الرجل الذى لم تقابليه عندما جاء الى بيتك منذ أيام قليلة .

فقالت باتشيبا فى تمتمة : أوه · المزارع بولدوود!

وراحت ترقبه وهو ينطلق بعربته المسرعة · وهو لم يلتفت برأسه على الاطلاق · وانما مر كأنما هى ومفاتنها وجمالها لا وجود لهم على الاطلاق ·

وقالت باتشيبا معلقة : انه رجل ممتع ومشوق · هل تعتقدين ذلك ؟

موافقتها ليدى على رأيها ··

الفصل الثانى عشر

وبعد ظهر يوم من أيام الآحاد ، وفى داخل منزل المزرعة كانت باتشيبا قد طلبت من ليدى ان تجيىء اليها وتجلس معها · وكان الجو كئيبا فى وقت الشتاء قبل اشعال الشموع ، الا ان كلام ليدى انساب كالفيضان واضفى البهجة على المكان ·

وتساءلت ليدى : هل لاحظت مسلك لمستر بولدوود فى الكنيسة فى صباح هذا اليوم يا آنسة ؟ · انه لم يلتفت اليك ولو مرة واحدة طوال تأدية الصلوات بأكملها ··

فتساءلت سيدتها وقد ظهر عليها شيء من الضيق والتبرم · ولماذا ينبغي عليه أن ينظر إلى ؟ ·· وأنا لم أطلب منه أن يعمل ذلك !

ـ أوه · لا · ولكن كل شخص آخر في الكنيسة كان يرمقك من وقت لآخر · ولذلك كان من الغريب ألا ينظر هو إليك على الاطلاق · وعلى أية حال فهو مسلمان غبي وليس هناك ما يدعوه لأن يهتم ·

والتزمت باتشيبا الصمت للحظات قليلة · وبعدئذ صاحت قائلة : أوه يا ليدي ·· غدا ١٤ فبراير يوافق عيد القديس فالنتين ·· ولقد كدت أن أنسى كارت المعايدة الذي اشتريته !

فتساءلت ليدي : كارت معايدة ؟ ·· لمن سترسلين كارت المعايدة يا آنسة ؟ ·· هل سترسلينه للمزارع بولدوود ؟

ـ لا ·· لقد اشتريت كارت المعايدة من أجل ليدي كوجان الصغير · فقد وعدته بتقديم شيء

جميل له · ولذلك فأنا أفضل ارسال هذا الكارت باسمه الآن · ترى ماذا أكتب له في هذا الكارت ؟

فقالت ليدي على الفور : يمكن أن تكتبي شيئا من هذا القبيل ·

الورد أحمر اللون
وجميل وممتع أيضا
ورائحته لذيذة وحلوه
وأنت مثل الورد تماما

فقالت باتشيبا : نعم · إن تلك الكلمات تتلاءم تماما مع طفل جميل الوجه مثل تيدى ·

وكتبت تلك الأبيات على الكارت ووضعته في مظروف · وكانت على وشك أن تكتب عنوان تيدى على المظروف عندما قالت ليدى :

ـ إن ارسال هذا الكارت إلى مستر بولدوود الغبي سيثير الكثير من المزاح والهزل وسيؤدى إلى بث الدهشة والتعجب في كيانه !

وتوقفت باتشيبا عن الكتابة وراحت تفكر في هذا الكلام الذي قالته ليدى . انها لم تكن متضايقة للغاية بسبب عدم اهتمامه بها . الا أن عدم اكتراثه بها قد طعنها في كبريائها ، لانه أكثر الناس احتراما في الأبرشية ، ومع ذلك فلا يحاول النظر اليها على الإطلاق . حتى ان فتاة مثل ليدى قد لاحظت ذلك واخذت تتطرق الى هذا الموضوع .

وقالت باتشيبا : لا . لن أفعل ذلك . فهو لن يرى أى مزاح في هذا التصرف !

فاصرت ليدى على رأيها قائلة : من المؤكد انه سينتابه القلق ويشغل باله تماما .

فقالت سيدتها : هل سيحدث له ذلك ؟ انى لا أريد ارسال الكارت الى بيدى بصفة خاصة . فهو في بعض الأحيان يميل الى الشقاوة بعض الشيء .. **ثم أضافت في غير مبالاة** : هيا بنا نلقى بقطعة من العملة المعدنية لأعلى لكى نحسم الامر مثلما يفعل الرجال .. [ملك أو كتابة] الملك لصالح بولدوود والكتابة

لصالح تيدى .. ولكن لا .. لا ينبغى أن نلقى بالنقود ونلهو بها في أيام الآحاد فهذا يؤدى الى تشجيع الشياطين ؟

ـ اذن القى بهذا الكتاب . ولن يكون هناك أى خطأ في ذلك يا آنسة .

ـ حسنا . المفتوح لصالح بولدوود والمغلق لصالح تيدى . لا . لا. من المحتمل أكثر أن يسقط الكتاب مفتوحا . فلنجعل المفتوح لصالح تيدى والمغلق لصالح بولدوود .

وطار الكتاب في الهواء وهبط على الأرض مغلقا. وهنا امسكت باتشيبا بالقلم ـ دون أن يبدو عليها أى اهتمام على الاطلاق ـ وكتبت عنوان بولدوود على المظروف .

ثم قالت : والآن اشعلى شمعة يا ليدى . ترى أى الأختام سنستخدم ؟ فهنا يوجد ختم رأس الأسد . لا . ما هذا ؟ ختم الحمامتين ؟ لا . ينبغى أن يكون الختم شيئا غير عادى . أليس كذلك يا ليدى ؟ هل هنا يوجد

ختم مكتوب عليه رسالة • وربما تكون الكتابة المنقوشة عليه غريبة وهزلية ولكني لا استطيع قراءة الكلمات المعكوسة الاتجاه • هيا بنا نجرب هذا الختم •

وقامت بإذابة بعض الشمع مستخدمة لهيب الشمعة واغلقت المظروف بالشمع المذاب • وبعدئذ ضغطت بالختم على الشمع الساخن وأمعنت النظر عن كثب لكي تعرف الكلمات المكتوبة •

ثم صاحت وهي تلقى بخطابها وتضحك بصوت مرتفع :

ـ هذا عظيم للغاية • فالكلام المكتوب يمكنه أن يطيح بوقار أي قسيس ويقلب كيانه •

ونظرت ليدي الى كلمات الختم وقرأت "تزوجني" •

وهكذا تمت الاجراءات التمهيدية بطريقة طائشة ، وبدون مراعاة لمشاعر الآخرين وبدون شعور بالمسئولية • وتم القاء الخطاب في صندوق البريد في نفس اليوم لكي يتم تسليمه في مزرعة ودروي السفلى في صباح اليوم التالي •

الفصل الثالث عشر

وفي مساء يوم القديس فالنتين ، جلس المزارع بولدوود لتناول طعام العشاء كالمعتاد بجوار جذع شجرة مشتعل بالنيران الناصعة • وعلى الرف الموجود فوق المدفأة ، كان يوجد خطاب باتشيبا • وأثناء تناوله الطعام راح يمعن في الكلمات المطبوعة مع الختم في ولع واعجاب : تزوجني !

ومنذ أن وصل ذلك الخطاب في صباح اليوم وهو يشعر أن توازن حياته بدأ ينقلب تدريجيا وفي بطء ، بعد أن رسخ في ذهنه أن هناك امرأة ما مختارة تحبه وتعشقه كثيرا مما دفعها الى ارسال الخطاب له

وعندما ذهب للنوم في فراشه وضع الخطاب عند أحد أركان المرآة الموجودة في غرفة نومه . فهذه هي اول مرة في حياته يحدث فيها مثل هذا الأمر . وكان واثقا أن هذا الخطاب قد ارسل من أجل تحقيق هدف جاد وهام . ولذلك لم ينظر الى الخطاب على أنه من قبيل التصرفات غير الأخلاقية او السيئة السلوك .

لقد طافت يد امرأة ما في حنان فوق الورقة التي حملت اسمه . ومن المؤكد أن ذهنها في تلك الأثناء قد انصب عليه . ولا بد أنه قد انطبع في خيالها وتصوراتها .. لماذا راحت تتخيله في ذهنها ؟ .. ترى : ما هو شكلها ؟

وعندما استغرق في النوم بدأت تتجسد له في احلامه . وعندما استيقظ كان هناك الخطاب الذي يبرهن له عن صدق احلامه . وفجأة راح يسائل نفسه : هل هناك كلام آخر يمكن أن يكون مكتوبا في ورقة في داخل الظرف ؟ فقفز ناهضا من سريره تحت ضوء القمر وفض الظرف وراح يبحث في داخله . ولكنه لم

يجد اي شيء في داخله . فشعر بالقلق وتضايق من نفسه بسبب تلك الاثارة العصبية التي اجتاحته ثم عاد الى سريره .

وعندما اشرق الصباح ارتدى ملابسه وخرج من المنزل وراح ينظر فيما حوله . كانت الشمس الساطعة باللون الأحمر ترتفع في بطء فوق السطح الجليدي للتل . وكان سطح الثلج قد تجمد اثناء الليل . وكانت انطباعات أقدام بعض الطيور القليلة التي وقفت على هذا السطح عندما كان الثلج لينا قد تجمدت واصبحت واضحة المعالم . وقطعت عليه افكاره عندما سمع اصوات عجلات خفيفة . لقد كانت تلك الأصوات منبعثة من عربة البريد التي دخلت الى الحارة في بطء . وكان سائق تلك العربة يمد يده الممسكة بخطاب . فامسك بولدوود بالخطاب وفتحه على الفور متوقعا انه خطاب آخر جاء من الصحبة المجهولة .

فقال ساعي البريد : لا أعتقد أن هذا الخطاب مرسل لك يا سيدي . انه مرسل لراعي الغنم عندك رغم انه لا يوجد عليه الاسم .

وعندئذ نظر بولدوود الى العنوان المكتوب على المظروف فقرأ « الى الراعى الجديد للأغنام / مزرعة ودربرى / بالقرب من كاستربرج » فصاح : ابوه يا لهامن غلطة ! الخطاب ليس لى وليس موجها لراعى الغنم التابع لى . انه موجه للرجل الذى يعمل عند الآنسة افردين والذى يسمى جبرييل اوك . يحسن بك ان تأخذ الخطاب لتعطيه له وتقول له اننى فتحته بطريق الخطأ . لا . انتظر » وكان هناك هيكل رجل يعبر خط السماء عند الأفق وقد سار وراءه كلب . وقال بولدوود : ها هو الرجل جبرييل اوك يسير فوق التل سأذهب اليه بنفسى لأعطيه خطابه ! .

ولم يكن الأمر بالنسبة لبولدوود هو مجرد تسليم خطاب لرجل آخر . وانما كان سانحة له للقيام ببعض التحريات الخاصة . وسار فى لهفة وراء الراعى الذى كان يهبط نازلا من فوق التل متجها نحو الحانة .

الفصل الرابع عشر

كان الجد الأكبر سمولبرى موجودا فى مطبخه حيث كان يتناول طعام الافطار . وكانت البطاطس يتم شواؤها بين الرماد الساخن حول النيران . مع اناء ضخم مليء بالقهوة الآخذة فى الغليان والمكونة فى معظمها من الخبز المحترق .

وكانت هناك اصوات مسموعة من الخارج . وبعدئذ ظهر هنرى فراى عند باب الحانة وتقدم نحو النيران وهو ينفض الثلج عن حذائه اثناء السير وتبعه ماثيو مون وجوزيف بورجراس وآخرون وقد امسكوا

فوانيس بأيديهم ، حيث كانوا مشغولين في تأدية أعمالهم منذ الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم .

واستفسر صاحب العائلة العجوز : وكيف يمكنها ادارة الأعمال بدون أن يكون لديها مدير مزرعة ؟

نهز هنري رأسه وابتسم ابتسامته المعهودة المريرة .

وقال : انها ستندم على ذلك . ولكنها لا ترغب في الاصغاء لأي نصيحة . والفخر والغرور هما السبب الرئيسي في المتاعب التي تواجهها ! لقد كنت أنا نفسي استحق العمل في وظيفة مدير المزرعة !

وعلى مدى العشر دقائق التالية ، انخرطوا جميعا في مناقشة شخصية باتشيبا والتغييرات التي احدثتها منذ ان اصبحت هي المسئولة عن مزرعة ودربري العليا خلال فترة قصيرة . وبعدئذ ترامى الى سمعهم وقع اقدام ثابتة وعالية بالخارج ، ثم فتح الباب فتحة تصل الى حوالي ست بوصات **ونادى شخص ما عند الجانب**

الآخر : أيها الجيران .. هل لديكم مكان من أجل عدد قليل من الحملان المولودة حديثا ؟

ـ بالتأكيد أيها الراعي !

وهنا فتح الباب على مصراعيه وظهر جبرييل أوك وقد وضع على كتفيه أربعة حملان صغيرة . ودخل وراءه كلبه العجوز جورج في وقار وهو الكلب الذي أحضره معه من نوركومب .

ونادى على مساعده الشاب الصغير : احضر باقي الحملان يا كين .. ثم عد بسرعة الى النعاج . ولسوف أجيء اليك بسرعة .

وهنا دخل الى الفندق كين بول ، وهو شاب شوش مشرق الوجه لـــه فم مثل الثقب المستدير الصغير . ووضع على الأرض حملين صغيرين ثم خرج مرة أخرى . وبعدئذ قام جبرييل بتدثير جميع الحملان في بعض القش ، ووضعهم جميعا حول النيران . **ثم قال** : لا يوجد لدينا في هذه المزرعة كوخ خاص بالحملان

المولودة ولقد كان لدى دائما فى نور كوكب كوخ خاص بالحملان .. **واستطرد** : فأنا اذا لم أحضر اليكم هنا يا مستر سموبيرى لكنت قد وقعت فى ورطة واصبحت لا أعرف ماذا افعل فى هذا الجو الشديد البرودة . كيف حالك اليوم ؟

ـ اوه .. لست مريضا ولا مكتئبا أيها الراعى . ولكنى لا اشعر بقوة الشباب . والأمور ليست كما كانت عليه . ولقد كان الرجال يتحدثون منذ لحظات عن الأنشطة الغريبة التى تقوم بها صاحبة المزرعة !

فتساءل جبرييل : وماذا كنتم تقولون عنها ؟ »

والتفت بحدة نحو الرجال الآخرين بينما الدماء الحمراء تتفجر الى وجهه .

فقال مارك كلارك : هؤلاء الرجال المتوسطو العمر كانوا يوجهون الانتقادات اليها بسبب شعورها بالافتخار والغرور . ولكنى اقول . اعطوها فرصة وباركوا وجهها الجذاب الجميل .. كم أود أن اقبل تلك الشفتين !

ثم صدرت عن شفتيه هو ذلك الصوت الغريب المعروف تماما .

فقال جبرييل فى حدة : يا مارك . انى لن اسمح بحدوث مثل هذا الكلام الخليع عن الآنسة افردين . هل تسمعنى ؟ .. **ثم اضاف ملتفتا فى وحشية نحو جوزيف بودجراس** : وانت بالذات . اعتقد أنك كنت تتحدث عنها كلاما فى غير صالحها ؟

فقال جوزيف وهو يرتعد رعبا : لا . لا .. لم اتحدث بكلمة واحدة ضدها . كل ما قلته عنها انها لشئ بهيج . انها متماسكة ولم تتدهور . أما ماتيو فقد قال ـــ

فقال ماتيو فى قلق : أنا ؟ أنتم تعرفون أنى لا استطيع أن أؤذى دودة صغيرة !

فقال جبرييل : حسنا . هناك شخص ما بينكم حاول الاضرار بها .. واسمعونى أيها الجيران ..

ثم ضرب جبرييل بيده القبضة الكبيرة على

المنضدة فى غضب رغم انه من أكثر الناس الذين يتميزون بالهدوء والرزانة والذوق .

واستطرد قائلا : من يبادر منكم بالاساءة الى سيدتنا سأوقفه عند حده بالقوة .. والا فمن يكون اسمى هو جبرييل اولك !

فصاح مارك كسلارك : اسمع ! ذلك بالضبط هو ما كان ينبغى على أن اقوله .

ورغم ان الكلب جورج لم يكن يفهم الكثير من اللغة الانجليزية الا انه نظر لأعلى وصدرت عن حلقه زمجرة وحشية متحمسة .

فقال هنرى فراى محاولا تهدئة الموقف : والآن هدىء من روعك أيها الراعى .. واجلس !

وفى نفس اللحظة دخل المزارع بولدوود الى الفندق وراح يومىء برأسه محييا كل فرد من الحاضرين بمودة المعهود . **ثم قال** : آه . يا اولك . لقد اعتقدت انك موجود هنا . فقد قابلت عربة البريد منذ عشرة دقائق

واعطانى ساعى البريد خطابا ففتحته بدون أن اقرأ العنوان المكتوب عليه . واعتقد أن هذا الخطاب مرسل لك . وارجو أن تغفر لى هذه الغلطة لو سمحت !

فقال جبرييل على الفور : بالطبع يا مستر بولدوود

ثم راح يقرأ الخطاب :

صديقى العزيز : اننى لا أعرف اسمك . ولكننى اريد أن اشكرك على عطفك على فى تلك الليلة التى غادرت فيها ودربرى . لقد انتهى كل شىء على ما يرام . ولسوف أتزوج من الشاب الذى ظل حبيبى لفترة من الوقت .. وهو الرقيب « تروى » الذى ينتمى للحرس الملكى الفرسانى الحادى عشر . وهو رجل يتميز بالشرف ووضعه الاجتماعى ممتاز . بل انه فى الحقيقة رجل نبيل تجرى فى عروقه دماء نبيلة . ونحن نهدف الى عمل مفاجأة فى ودربرى عندما نعود اليها فى القريب العاجل كزوج وزوجة . مع خالص شكرى وتمنياتى .

فاى روبين

وقال جبرييل : من وراء ذلك الخطاب يا مستر بولدوود ؟ اذا لم تكن قرأته فيستحسن أن تقرأه فانت مهتم بشئون فاني روبين .

فقرأ بولدوود الرسالة وظهر الحزن على وجهه وقال : مسكينة فاني ! فالزواج الذى تتحدث عنه فى تأكيد وثقة لن يحدث فى أى وقت من الأوقات .. ويبدو من الخطاب أنها لم تذكر عنوانها .

فتساءل جبرييل : « ما هى طبيعة هذا الرجل الذى يسمى لعريف تروى ؟ »

وقال بولدوود : انه شخص لا يمكن الاعتماد عليه . رغم انه شخص ماهر وذكى . لقد كانت امه مدرسة تدرس اللغة الفرنسية . ويبدو أنها كونت علاقة حب سرية مع المرحوم اللورد سفرن . ثم تزوجت طبيبا فقيرا ثم أنجبت ولدا بعد ذلك . وعندما كبر هذا الولد عمل كاتبا عند محامى فى كاستر بردج . وربما كان من الأفضل له عدم

الانضمام الى الجيش . وانا أشك فى أن فاني ستحظى بالزواج من هذا الشاب على النحو الوارد فى خطابها يالها من فتاة حمقاء !

وفتح الباب على مصراعيه مرة أخرى ودخل كين الصغير تحت الأمطار تماما . لقد ولدت نعجتان أخريان فارسلوه لاستدعاء الراعى على الفور . فهب جبرييل واقفا وطرد من ذهنه تلك الأفكار عن فاني المسكينة . والتقط هو وكين الحملان الستة المستلقية بالقرب من النيران واحتميا أثناء اتجاههما نحو حقل الحملان .

فسار بولدوود وراءهما لمسافة قصيرة ثم تردد واستدار عائدا ولكنه غير رأيه وسار وراءهما مرة أخرى . وبعد لحظات قليلة عرض على جبرييل الخطاب الذى أرسلته باتشيبا .

وقال مدعيا عدم الاهتمام وقلة الاكتراث : لقد كنت على وشك أن أسألك يا أوك عما اذا كنت تعرف خط من كتب هذه العبارة ؟

محقق جبرييل في الكلام المكتوب **وقال** على **الفور** : انه خط الأنسة اوردين "

ثم دبت الدماء في وجهه عندما لاحت له فكرة جديدة ينبغي الا يكون هناك توقيع على الخطاب **الفور** : « انه خط الآنسة اوردين ! » .

ولاحظ بولد وود ان الاضطراب قد دب في كيان جبرييل **فقال** : ان التساؤل في محله تماما . فانت كما تعرف تكون هناك استفسارات خاصة بشأن مثل تلك البطاقات التي ترد في المناسبات والتي تجيء بدون اسماء . فهنا يكمن المزاح !

واذا كانت كلمة " « مزاح » معادلة لكلمة « ألم » . لما كان بولدوود قد نطقها بوجه اكثر تعاسة مما حدث !

الفصل الخامس عشر

وفي صباح احد ايام الأسبوع ، نهضت مجموعة من المتعبدين - معظمهم من النساء - من السجود على ركباتهم في حمام الصلاة بكنيسة جميع القديسين . وكانوا على وشك مغادرة الكنيسة عندما جذب انتباههم وقع اقدام سريعة تدخل الى الكنيسة نظروا فيما حولهم . فوجدوا شابا فارسا مرتديا الزى الرسمى الاحمر ، وقد ظهرت على ذراعه الأشرطة التي تدل على رتبته بدرجة رقيب . وسار هذا الشاب الى وسط الكنيسة محاولا عدم اظهار الارتباك والخجل الذى يعتمل من داخله .

وعندما وصل الى الطرف الشرقى من الكنيسه ظهر القسيس ، فهمس فى أذن الحمدى ، وبعدئذ أعطى اشارة لكاتبه الذى همس بدوره فى اذن امرأة كبيرة فى السن . ثم وقف الأشخاص الأربعة منتظرين شيئا ما .

وصاحت بعض النســاء وقد ظهر عليهن قدر أكبر من البهجة والسرور : انه ســوف يتزوج ! فلننتظر !

وجلسن ينتظرن . وبعد لحظات دقت ساعة الحائط بالكنيسة معلنة الوقت ... كانت الساعة الحادية عشر والنصف .

وهمس الصلوتى : أين المرأة ؟

ووقف الرقيب الشاب ساكنا وصامتــا دون حراك مثل الحوائط الموجودة فيما حوله . وازداد الصمت عمقا مع مرور الثوانى والدقائق ، ولم يظهر اى شخص ولم يتحرك أى فرد . ودقت ساعة الحائط

بالكنيسه معلنة الساعه الثانية عشره الا ربع مما جعل بعض المشاهدين بالكنيسه يغمزون فى دهشة .

وهمس صوت مرة اخرى : ترى .. أين المرأة ؟ وظهر حينئذ وقع خفيف لبعض الأقدام وبعض الكحه المفتعلة ، وهى علامات تدل على العصبية والقلق . ثم ترامت ضــحكة . ولكن الحمدى لم يتحرك فى مكانه . وانما ظل واقفا هنالك وقد أمسك قبعته فى يده . وتخلصت النســاء من التوتر العصبى وبدأت الضحكات تظهر من وقت لآخر . وبعدئذ ساد الصمت التــام حتى راح الجميع ينتظرون ما سيسفر عنه الموقف .

وأخيرا دقت ساعه الكنيسه معلنة الساعة الثانيه عشرة باثنتى عشره ضربة ثقيلة . وحيا الحمدى الكاهن وكاتبه ولم يكن الرقيب قد استدار بوجهه بعد . وظلت كل امرأه بالكنيسه منتظره لكى تشاهد وجهه ويبدو انه كان مدركا لذلك . فعندما استدار بالفعل

سار في جرأة وشجاعة مخترقا الكنيسة وقد زم شفتيه تماما .

وبينما كان يعبر الساحة الخارجية للكنيسة تقابل مع امرأة شابة واقفة في وسط الساحة . كان وجهها ينم عن القلق الشديد . ولكن ما أن وقع بصرها على وجهه حتى ظهرت تعبيرات الرعب على وجهها .

فقال وهو يحاول السيطرة على العصبية في داخله وينظر الى وجهها نظرات مباشرة : حسنا ..

ـ أوه . يا فرانك . لقد وقعت في غلطة . لقد اعتقدت أن تلك الكنيسة الأخرى هي كنيسة جميع القديسين . ووقفت عند باب تلك الكنيسة في تمام الساعة الحادية عشرة والنصف مثلما قلت . وظللت منتظرة حتى الساعة الثانية عشرة الا الربع وبعدئذ اكتشفت انني موجودة في كنيسة جميع الارواح .. ولكني لم انزعج كثيرا حيث اعتقدت أنه باستطاعتنا أن نتزوج غدا بدلا من اليوم !

ـ انت غبية وسخيفة لأنك خدعتني على ذلك النحو ! .. لا تكلمني أي كلمة أخرى !

فتساءلت في لهجة خاوية وقد شحب وجهها :

ـ هل يمكن أن تتم مراسم الزواج غدا يا فرانك؟

فانطلق ضحكة قاسية بصوت اجش **قائلا :**

غدا ! انني أوعدك ألا أمر بهذه التجربة مرة أخرى لفترة طويلة !

فقالت بصوت مرتعش : ولكن على أية حال لم تكن هذه الغلطة شنيعة للغاية . والآن يا حبيبي فرانك متى سيتم عقد الزواج ؟

فقال في مرارة : آه متى ؟ الله وحده هو الذي يعرف ..

ثم ابتعد عنها ومشى طريقه خارجا بسرعة .

الفصل السادس عشر

وفي يوم السبت عقب عيد القديس فالنتين ، كان بولدوود في سوق الغلال في كاستر بردج كالمعتاد عندما دخلت الانسانة التي تعكر عليه صفو أحلامه ، فشجع ونظر اليها لأول مره في حياته ، فشاهد من منظور جانبي شعرها الأسود ، وتقاطيع وجهها السليمة ، ونقوش عنقها وشكل أذنيها ، وبعدئذ شاهد قوامها ورداءها بل وشاهد حذاءها ، واعتقد أنها جذابة وحسنة ، ولكنه سأل نفسه في تعجب : ترى هل هو على حق في رأيه ؟ اذ بدا له أنه من

المستحيل أن يوجد مثل هذا الجمال لفترة طويلة بدون أن يخلق قلاقل بين الرجال تفوق القلاقل التي أثارتها باتشيبا .

وكان من رأيه أن الطبيعه او الفن لايمكنهما أن يضيفا جمالا الى جمالها ، وبدأ قلبه يدق في مرحله من السرعه ، فسأل جارا بصوت منخفض : هل تعتبر الآنسة افردين جميلة المنظر ؟

ـ اوه ، بالطبع انها جميلة للغاية حقا !

ان الرجل لا يرتاب مطلقا في الآراء المؤيده المتعلقه بجمال المرأة التي يحبها ومجرد كلمة يقولها طفل تكون لها نفس اهمية آراء الفنان ، وشعر بولدوود بالارتياح والرضا أشد ، فهذه المرأة ساحره الجمال قد قالت له بطريقة غير مباشرة « تزوجني ! » ... وماذا اقدمت هي على هذا التصرف الغريب ؟ لقد كانت في تلك المحطه تتعامل في برود وهدوء مع فلاح شاب مرح فدبت الغيرة الشديدة في دماء بولدوود وأراد أن يدفع نفسه

بالدخول في الحديث معهما . ولايمكن ان يتم ذلك الا اذا طلب منها ان تريه عينه من قمحها وهو لا يجرؤ على تنفيذ ذلك فهو اذا سأل كل هذا الجمال عن البيع أو الشراء سيكون قد تسبب في اهانته والتقليل من شأنه .

وطوال ذلك الوقت كانت باتشيبا تدرك أنها قد تمكنت من اختراق وقاره أخيرا . اذ كانت تدرك أن عينيه تتبعانها في كل مكان وكان ذلك في حد ذاته انتصارا عظيما لها . ولكنه كان سيصبح انتصارا اعظم ما لم تدعها الى الخداع . وكانت تشعر بالأسف العميق لأنها قد تسببت بتصرفاتها غير الحكيمة في تحطيم السلام والهدوء الذي كان يعيش فيه رجل تكن له كل الاحترام والتقدير . وكانت على وشك أن تطلب منه الصفح والغفران عندما تقابلا في المرة التالية ولكنها خشيت ان يتسبب ذلك في زيادة الظن بها .

ولذلك لم تقل شيئا . ومر شهران قبل أن

يحاول بولدوود التحدث اليها . كان ذلك في مساء يوم من أيام الربيع الدافئة . وفي الاسطبلات الواقعة خلف منزله كان هناك ستة من الخيول تستمتع بالهدوء وتتناول طعامها من العلف والأعشاب . وكان بولدوود نفسه يسير جيئة وذهابا خلفها مثلما كان يفعل عادة في المساء الى أن تنهمر أشعة القمر داخلة الى الاسطبلات من خلال النوافذ المغطاة بالتراب، او الى ان يغلف الظلام كل شيء . ووصل أخيرا الى باب الاسطبل وراح ينظر للخارج عبر الحقول . فالى ما وراء الحقل الأول كان يوجد سور ، وعلى الجانب الآخر من السور كانت توجد الأراضي والحقول الخاصة بباتشيبا . وكانت أغنامها تستمتع بتناول العشب الصغير قبل تخصيص الحقل من أجل الأعشاب الجافة . وشاهد بين الأغنام ثلاثة هياكل باتشيبا وجبرييل أوك وكين بول الصغير . كان ثلاثتهم منهمكين مع نعجة فقدت حملها . حيث كانوا يحاولون اقناعها بتبني حمل صغير آخر . اذ كان جبرييل قد قام بسلخ الحمل الميت . وكان يحاول

وضع ذلك الجلد على جسد الحمل الحي ، وكانت باتشيبا ممسكة بباب حظيرة سياجية صغيرة مفتوحا لكي يبقى فيها الحمل الصغير والنعجة الى أن تتقبل النعجة الحمل الصغير .

وما أن شاهد بولدوود باتشيبا حتى اتقدت عيناه وتغير وجهه . اذ لم يعد بامكانه اخفاء مشاعره خلف الوقار والرزانة وهبط عليه احساس مخيف بأن مشاعره قد كشفت عن السر . وأخيرا اتخذ قرارا . ينبغي أن يذهب اليها ويسألها في شجاعة عن كارت عيد القديس .

وعندما اقترب نظرت باتشيبا اليه . وأدرك جبرييل أن وجهها قد احمر بسبب الخجل أو الاضطراب ، وتذكر المظروف الذي عرضه بولدوود عليه . واستبعد أن تستمر في تأدية هذه اللعبة السخيفة التي بدأت بكارت عيد القديسين . ولكن ما أن أدرك بولدوود أنهم قد تنبهوا الى اقترابه منهم ، حتى دب الخجل في كيانه فجأة فاستدار عائدا من حيث جاء ..

الفصل السابع عشر

وفي نهاية شهر مايو ، قرر أخيرا أنه لم يعد بامكانه الانتظار بصبره أطول في ارتياب وشكوك . فذهب الى منزلها فقيل له أنها ذهبت الى المغسل الذي يتم فيه غسل الأغنام . فذهب الى هناك ووجدها .

وكانت بركة غسل الأغنام بمثابة حوض دائري مبني بالطوب ومليء بالمياه الصافية النقية القادمة من مجرى مائي يخترقها متجها نحو النهر . كان الراعي أوك ومساعدوه متجمعين هنالك وقد تبللت ملابسهم تماما ، وكانت باتشيبا واقفة بجوار

حصانها وقد ارتدت أفضل ثياب الخيالة لديها .
وكانت الأغنام المستسلمة تدفع الى البركة من الجزء الأسفل بواسطة جان جوحان وماتيو هوت ، وبعدئذ يدفعها جبرييل لأسفل مستخدما عصا خاصة أثناء عومهـا . وكانت تدفع للخروج من الماء عند الطرف العلوى للبركة وضد التيار ، لكى تنساب منها جميع الأوساخ . وكان يساعدها على الخروج من الماء كيت وجوزيف بورجمراس اللذان كانا مبللين أكثر من الآخرين .

وتقدم بولدوود نحو باتشيبا وألقى عليها تحية الصباح فى هدوء شديد حتى أنها اعتقدت أنه قد جاء لمشاهدة عملية غسل الأغنام لا أكثر ولا أقل . فأسرعت باتشيبا بعيدا وهى تقود حصانها فى هدوء بجوار النهر . وسرعان ما سمعت وقع أقدام فوق العشب خلفها وأدركت أن مشاعر الحب بدأت تطوقها من جميع الجوانب مثل العطور العذبة الذكية الرائحة . وبدلا من الالتفات وراءها او التوقف من

انتظاره فانها استمرت فى مواصلة السير ببطء بين الأعشاب الطويلة بجوار شاطئ النهر .

ولكن بولدوود قد بدا عليه التصميم فى هذه المرة لأنه راح يستحث الخطى الى ان أصبحا عند منعطف النهر . فهنا كان باستطاعتهما سماع أصوات الناس القائمين على غسيل الأغنام وبدون أن يراهما أحد .

قال المزارع : يا آنسة افردين !

فارتعدت والتفتت وقالت : صباح الخير !

كان صوته مختلفا للغاية عما كانت تتوقع ، اذ كان منخفضا وهادئا ومليئا بالمعانى العميقة .

وقال فى بساطة ووقار : ان مشاعرى الخاصة نحوك تحول دون ترتيب أفكارى . وحياتى قد تغيرت تماما منذ أن رأيتك فى وضوح يا آنسة افردين . وأنا قد جئت اليك الآن لأعرض عليك الزواج ..

ولم ترد عليه باتشيبا فاستمر بولدوود فى

المتكلم : عمري الآن ٤١ عاما . وطوال سنوات حياتي لم افكر في الزواج . ولكننا جميعا نتغير .. والتغير الذي حدث لي لقد جاء مع مشاهدتي لك . وانا أريدك زوجة لي بغض النظر عن جميع الظروف والأحوال !

فردت في غير ثبات : يا مستر بولدوود رغم انني أحترمك كل الاحترام .. الا انني اشعر انني لا أستطيع تماما قبول العرض الذي تقدمت به !

ويبدو ان هذا الرفض الخجول للعرض الجليل الذي تقدم به قد اطلق فيضا من المشاعر كان محتجزا ومحصورا في داخل وجدانه حيث **قال بصوت منخفض** : ان حياتي بدونك أصبحت لا معنى لها . باستطاعتك ان تحبيني قولي لي ذلك يا آنسة افردين . اقولها مرات ومرات عديدة . واذا كان باستطاعتك أن تحبيني . قولي لي ذلك يا آنسة افردين . ولكن اذا لم يكن بمقدورك أن تحبيني فلا ترفضي حلمي . فانا أريدك . وأنا لم أكن لأتكلم

في هذا الموضوع لو لم يكن لدي الأمل المشرق الذي سرت وراءه !

فقالت في همس : تلك البطاقة .. بطاقة عيد القديس فالنتين .. مرة أخرى ! وه ! تلك البطاقة .. **ثم استطردت بصوت مسموع** : يا مستر بولدوود انت رجل محل العناية بالنسبة لي وعلى نحو يجعلني غير ملائمة لك . وانا ادرك انه ما كان ينبغي لي مطلقا ان ارسل لك تلك البطاقة . سامحني يا سيدي . فقد تصرفت بغباء وهو تصرف لا تقدم عليه اية امرأة تحترم نفسها . واذا غفرت لي هذا الطيش الذي وقعت فيه فاني اعدك لا اقدم على الاطلاق على ... ...

ـ لا . لا . لا تذكري كلمة الطيش . دعيني اعتقد ان القدر هو الذي دفعك الى ارسال تلك البطاقة الي وأخشى أن يكون عمري كبيرا بالنسبة لعمرك . ولكني سأحبك اكثر من اي شاب صغير . ولسوف تحصلين على اي شيء تريدينه . ولسوف

تعيشين في راحة تامة وهناء دائم . ان الله وحده هو الذي يعرف كم أنت عزيزة علي !

كان قلب باتشيبا قليل الخبرة فهاج بالتعاطف مع هذا الرجل الذي كانت لديه كل هذه المشاعر العميقة والذي كان يتحدث بكل هذه البساطة .

فصاحت : لا تقل هذا .. لا تقل . فأنا لا أحتمل هذا ! وأخشى أن يسبب ارتحالا لي وجودنا هنا سويا يا مستر بولدوود . هل يمكنك أن تؤجل الكلام في هذا الموضوع الآن ؟ فأنا لا استطيع التفكير جيدا وبوضوح الآن . اوه كم انا مرتبكة للغاية لأنني لقد حطمتك نفسي وتماديت على هذا النحو

ـ اذن قولي لي الآن انك لا ترفضيني على الاطلاق . واسمحي لي ان احضر لزيارتك مرة اخرى غدا .

ـ لا . من فضلك . اعطني بعض الوقت . اذ ينبغي علي أن افكر جيدا في هذا الأمر !

فقال في حماس واهتمام وامتنان : نعم .

نعم . سأعطيك أية فترة زمنية تريدينها . انني الآن اشعر بمزيد من السعادة . ولسوف انتظر .

وبعد أن غادرت باتشيبا المكان ظل هو واقفا صامتا محملقا في الأرض ، مثل رجل لا يعرف طبيعة المكان الذي يوجد فيه . وبعدئذ هبط عليه الادراك والتحقق مثل آلام الجرح التي لم يشعر بها الانسان اثناء الانخراط في القتال المحتدم . فغادر المكان هو الآخر .

الفصل الثامن عشر

ونظرا لأن باتشيبا لم تكن واقعة في حبه على الاطلاق فقد راحت تدرس في هدوء العرض المقدم منه للزواج بها . كانت جميع وجهات النظر تشير الى انه ينبغي عليها من حيث هي فتاة تشعر بوطأة الوحدة القاسية وانعزالها العاطفية أن تتزوج هذا الرجل الجاد الفتي المحترم . وهي اذا كانت قد شعرت بأية رغبة في الزواج فليس هناك اي مبرر يدعوها لرفض الزواج منه . الا أن وضعها من حيث هي مسئولة نفسها عن مزرعة ومنزل ، كان أمرا غير طبيعي وغير عادي وكان أمرا جديدا وأم [illegible] بعد في الخبر

والتلاشي التدريجي . ومع ذلك فهي كانت تشعر بعقدة الذنب لأنها هي التي ارسلت البطاقة . وبالتالي فانها ينبغي عليها أن تتقبل النتائج المترتبة على ذلك بكل أمانة وصدق .

وفي اليوم التالي وجدت جبرييل أوك في أعماق حديقتها حيث كان يشحذ ويسن مقصه الكبير ، بينما كان كيين بول يدير مقبض حجر المسن . وراحت ترقبهما للحظات في صمت ثم قالت : يا كيين اذهب الى الحقل القريب من النهر وامسك بحصاني ولسوف اقوم أنا بادارة المقبض نيابة عنك . اريد ان أتحدث معك يا جبرييل .

وبعد ان أدارت المقبض حوالي ٢٤ أو ٣٦ مرة توقفت وقالت : أود ان اسألك عما اذا كان الرجال قد علقوا بشيء بشأن ذهابي خلف العشب الطويل مع المستر بولدوود بالأمس .

وعندما أومأ جبرييل برأسه استطردت قائلة : ماذا قالوا ؟

ـ لقد قالوا عنك أنك ستتزوجين على ما يبدو قبل نهاية السنة

ـ اريد منك ان تقول لهم انني لا اوافق على سماع اى تعليق آخر سخيف منهم . من المؤكد أنهم قد سمعوا الحوار الذي دار بيني وبينه .

فقال جبرييل وهو ينظر اليها فى دهشــــة :
حسنا يا باتشيا !

فقالت فى وقار : الآنسه اوردين من فضلك !

ـ القصه هذا : اذا كان المستر بولدوود قد تحدث معك بلفظ عن الزواج فانني سأكذب عليهم واقول لهم أنه لم يتقدم للزواج منك . اذا كان هذا يدخل السرور على نفسك . فانا أحاول دائمـــا أن جعلك مسروره وسعيدة للغايه وقد عانيت من اجل ذلك كثيرا

نظرت باتشيا اليه فى دهشة وصمتت في

غير ثقة . كل ما اريده منك ان تقول لهـــم انه ليس صحيحا انني سأتزوج منه !

ـ باستطاعتى ان اقول لهـم ذلك يا آنســـــة ايفردين اذ كنت ترغبين فى ذلك . وباستطاعتى ايضا ان اقول لك رأيى الشخصى فى التصرف الذى اقدمت عليه .

ـ لا اريد ان اسمع منك رايك الشخصى !

وبعد لحظات شعرت بالأسف والأسى على هذا الرد الجاف . فقد كان جبرييل هو الشخص الوحيد فى الأبرشية الذى تحترم رأيه . ورغم انهـــا كانت تعرف مدى حساسية الموضوع بالنسبة له ، ومدى ما يسببه له هذا الموضوع من آلام ، الا أنها سألته فى هدوء : حسنا ، ما هو رأيك فى تصرفاتى ؟

ـ تصرفاتك غير سليمة ولا تتــلاءم مــع امرأة عميقه التفكير ولطيفة وجميلة وجذابة مثلك !

وفى لحظه تصاعدت مشاعر الغضب فى داخل

باتشيبا واندفقت دماء الحمراء الى وجهها . وردت عليه : ورأيى فيك أنك سيئ للغاية ، حتى أننى كنت أتوقع أن تصدر منك هذه الاهانات عندما يتحدث أى جنتلمان .

كان من الواضح ان باتشيبا قد فقدت صوابها واتزانها ولكن جبرييل التزم بضبط النفس ولم يرد عليها . وبعدئذ انفجرت باتشيبا بصوت مرتفع : أود أن أسالك : أين هى أخطائى ؟ هل أعطالى لكونى أننى غير متزوجة مثلك ؟

فقال جبرييل فى هدوء : لا بالتأكيد . فانا قد توقفت عن التفكير فى ذلك منذ فترة بعيدة !

فتساءلت : ولا ترغب فى ذلك الأمر أيضا ؟

وكانت تتوقع منه أن يرد عليها بالرفض الشديد . ومهما كانت مشاعر جبرييل الحقيقية فانه رد عليها فى برود مستخدما نفس كلماتها : ولا أرغب فى ذلك الأمر أيضا !

كانت باتشيبا على استعداد لتقبل تأنيب جبرييل لو أنه ادعى أنه يشعر نحوها بالحب . فى نفس الوقت . كان هذا هو ما توقعته وما لم تحصل عليه . ولم يكن قد انتهى من كلامه . اذا استطرد بصوت مرتفع : ومن رأيى أن اللوم الشديد يقع عليك لأنك قد قمت بالحيل الخادعة ، ونصبت الشراك لرجل مثل لمستر بولدوود لمجرد التسلية والعبث . فليس من نفس الشرف أن تثيرى الحب فى رجل لاتشعرين نحوه بالحب

فحملقت باتشيبا . وصاحت : لا اسمح لأى رجل أن ينتقد حياتى الخاصة . من فضلك غادر هذه المزرعة فى نهاية هذا الأسبوع !

فقال جبرييل فى هدوء : حسنا للغاية !

لقد كان مرتبطا بها من خلال خيط جميل لا يرغب فى قطعه وليس من خلال قيود حديدية يتعذر عليه فكها وتحطيمها . فأضاف قائلا : من الأفضل لى أن اذهب الآن فورا لو سمحت

فقالت والشرر يتطاير من عينيها أثناء نظرها الى عينيه ولكن دون أن تتلاقى عيناها مع عينيه : اذهب الآن على الفور بحق السماء !

وأضافت : ولا تدعني أرى وجهك مرة أخرى

ـ حسنا يا آنسة امردين . لن تشاهديني مرة أخرى !

ثم أخذ المقص وسار مبتعدا عنها في وقار وهدوء ..

الفصل التاسع عشر

وبعد مرور أربعة وعشرين ساعة على ترك جبرييل أوك للقطيع التابع لباتشيبا ، حتى جاء بعض الرجال بعد ظهر أحد أيام الآحاد يهرولون في اضطراب نحو المنزل . فتساءلت باتشيبا وهي تقابلهم عند الباب لدى خروجها للذهاب للكنيسة : ماذا في الأمر ؟ .

فقال هنري فراي : لقد كسرت مجموعة من أغنامك السور .

وقال ليبان دول : ودخلت في حقل مزروع بنبات ضار يشبه البرسيم ..

وقال هنري : فتورمت أجسادها !

وقال ليبان : ولسوف تموت كلها اذا لم يتم اخراجها من هذا الحقل وعلاجها !

فصاحت سيدتهم وهي تسقط من يدها نظارتها وكتاب الصلاة الخاص بها ، وتهرول نحو الحقل المزروع بهذا النبات الضار : كفى أيها الأغبياء !

واستطردت : ولماذا جئتم الي ؟ كان ينبغي بدلا من ذلك أن تبادروا الى اخراج الأغنام من هذا الحقل !

وهرولوا وراءها وشعروا بوجودها معهم وسارعوا بين الأغنام ، حيث كان معظمها مستلقيا على الأرض في هبوط وتخاذل . وتم رفع تلك الأغنام التي لا تقوى على السير ، وحملها الى خارج الحقل . أما الباقي فقد سيق للخروج ، ولكنها ما أن دخلت في نطاق الحقل التالي حتى راحت تتدحرج على

ظهرها ، وتتنفس بأنفاس قصيرة وسريعة بعد أن امتلأت أمعاؤها ومعدتها بالغازات وانتفخ بطنها .

فصاحت باتشيبا في يأس : أوه ، ماذا سأفعل ؟ !

فقال ليبان : هناك طريقة واحدة لانقاذها ، يعني عمل فتحة في جنباتها بآلة معينة ، ولكن هذه الفتحة يجب أن تتم في المكان الصحيح . فاذا نفذت الفتحة بانحراف قليل الى اليمين أو الى اليسار ولو لبوصة واحدة لتموت الأغنام !

وقال جوزيف بورجراس : والرجل الوحيد في هذه المنطقة الذي يستطيع القيام بهذا العمل بنجاح هو

فقالت باتشيبا : من هو ؟ فلنحضره فورا !

ـ .. انه جبرييل أوك ..

فصاحت : كيف تجرؤ على ذكر اسم هذا الرجل أمامي !

واستطردت : حسنا · لا تقفوا هنا · اذهبوا واحضروا شخصا ما لمعالجة الأغنام على الفور !

وما أن خرجوا من البوابة حتى التفتت قائلة لنفسها : لن أطلب منه الحضور مطلقا !

وبعدئذ قامت احدى النعاج بتقليص عضلاتها على نحو مريع ، ثم مددت نفسها وقفزت لأعلى في الهواء · ثم هبطت في ثقل فوق الأرض ساكنة دون حراك · فذهبت باتشيبا اليها · وادركت أنها قد ماتت ·

فصاحت باتشيبا مرة اخرى : اوه · ماذا عساى ان افعل ؟ لن ارسل من يطلب جبرييل اوك على الاطلاق !

ولكنها كانت تدرك بينها وبين نفسها أنه ينبغي عليها أن تستدعيه · فسارت وراء رجالها عبر البوابة ونادت على ليبان وسألته : اين يقيم أوك ؟

ــ عبر الوادي · عند كوخ نيست ·

ــ امتط حصاني واذهب الى هناك · وقل له انه ينبغي عليه العودة الينا في الحال ·· وانني اقول له ذلك !

فاسرع ليبان وامتطى ظهر الحصان بدون أن يضع سرجا على ظهره وانطلق في اتجاه التل ومنه الى الكوبري ومنه الى التل المقابل ومنه الى الكوخ الابيض الصغير · وراحت باتشيبا ترقب الموقف · وكانت تامل ان يكون لديه الادراك السليم والذكاء الكافي بحيث يعطي الحصان لجبرييل ويعود هو سيرا على الاقدام · ولكنها عندما شاهدت الحصان يعود اليها ادركت ان الراكب فوقه هو ليبان ·

وتساءلت عندما توقف عندها وهبط نازلا من فوق ظهر الحصان · حسنا ؟ ماذا فعلت ؟ »

فقال ليبان : انه يقول لن يحضر اليك الا اذا طلبت منه ذلك في ادب مثل اية امرأة تطلب مثل هذا الأمر · وتتوسل لكي يقدم لها معروفا !

فصاحت : ماذا ! هل أنا أعامل على هذا النحو ؟ هل أتوسل الى رجل كان يستجديني من قبل ؟

وقفزت دمعة أخرى فى الهواء وسقطت على الأرض هسة . وبدا على الرجال الواقفين الحزن . وبدوا كما لو كانوا يريدون الرد على تساؤلها ولكنهم لم يتكلموا .

واستدارت باتشيا وقد امتلأت عيناها بالدموع . ولم تستطع اخفاء المتاعب التى وقعت فيها . فانفجرت فى البكاء بصوت مرتفع من خلال غرورها وحدة طبعها .

فقال وليام سمولبرى فى تعاطف : لا داعى للبكاء يا آنسة . فاذا لاطفتيه فسيحضر بلهجة تتسم بالرقة فى الذوق ؟ .. فانا متأكد أنه سيحضر اذا فعلت ذلك .

فتوقفت باتشيا عن البكاء وجففت دموعها . **وتمتمت :** أوه . انها لقسوة حسيسة ! »

ولكنها اسرعت عائدة الى منزلها وكتبت رسالة مؤدبة واضافت فى نهاية الرسالة عبارة « لا تتركنى هكذا يا جبريل فانا الآن لا حول لى ولا قوة ومغلوبة على امرى وعاجزة عن عمل اى شىء ! » .. وكان وجهها محتقنا باللون الأحمر وهى تناول الرسالة للبيان .

ومرت ربع ساعة من القلق الشديد قبل أن يحضر جبريل اوك . **وقالت :** أوه يا جبريل . كيف تعاملنى على هذا النحو فى غير شفقة ؟ ... ولكن نظرة الشكر والامتنان فى عينيها كانت تبيح الكلام آخر . فتمتم بكلام مضطرب وأسرع متجاوزا المكان الذى تقف فيه وادرك هو ان هناك عبارة محددة فى رسالتها وان هذه العبارة هى التى دفعته للمجئ اليها .

وما ان وصل جبريل الى الحقل حتى خلع معطفه والقاه بعيدا بسرعة واخرج من جيبه آلة صغيرة عبارة عن أنبوبة صغيرة فى داخلها ابرة صغيرة . وراح يستخدم تلك الآلة مثل طبيب ماهر .

حيث كان يحدث ثقبا في معدة كل نعجة ليتيح الفرصة للفارات لكي تتسرب ·

وعندما انتهى من مهمته حضرت اليـــه ونظرت بتمعن في وجهه وقالت وهي تبتسم ابتســامة عذبة وبدون أن تغلق شفتيها ، لأن ابتسامة أخرى كانت آتية في الطريق : يا جبرييل هل ستعود الى وتقيم معي هنا ؟

فقال جبرييل : سأفعل ذلك بكل تأكيد ! فابتسمت في وجهه مرة أخرى ·

الفصل العشرون

كان اليوم الأول من شهر يونيو هو أكثر الأيام ازدحاما بالعمل بالنسبة لجميع أيام الراعي الأخرى في خلال السـنة ·· فهو اليـوم الذى يتم فيه جز أغنامه وجمع محصول الصوف ، وكان الجز يتم في الحظيرة · وهي مبنى حجرى ضخم شيد منذ أربعـة قرون بتصميم يشبه شكل الكنيسة القديمة ، وهو مبنى متين وقوى مثل القلعة · وكانت أبوابها المقوسة الهائلة ، مفتوحة على مصراعيها للسماح لدخول ضوء الشمس اللازم لعمليات جز الصوف ·

وكانت باتشيبا ترقب في حرص وعناية رجالها لتتأكد من أنهم يقومون بالجز بطريقة سليمة لا يشوبها أي إهمال . وما أن يتم الانتهاء من جز النعجة أو الخروف ، حتى تقف هنالك في عصبية وخجل بسبب فقدانها للصوف الذي كان يكسو جسدها . وهنا يبادر كين بول بالجري نحوها ليطبع على جلدها المجزوز حرفين هما : «ب . ا» .

وبينما كان جبرييل منهمكا في جز الأغنام جاءت إليه باتشيبا ووقفت إلى جواره وهنأته على سرعته وإتقانه في إنجاز هذا العمل .

إلا أن القدر كان له بالمرصاد . كان مصرا على إفساد جو السعادة الذي يكتنفه . إذ حضر بولدوود وبدأ يتكلم مع باتشيبا بصوت منخفض . وخرجا سويا في ضوء الشمس الساطعة . وهما مازالا يتجاذبان أطراف الحديث . هل كان الكلام منصبا على أغنامها ؟ بالطبع لا . إذ كانت عيناها تنظران في تواضع نحو الأرض وكانت الدماء تتدافع إلى وجهها .

وبعدئذ دخلت إلى منزلها ثم خرجت بعد ربع ساعة وقد ارتدت الملابس الجديدة التي ترتديها عند امتطاء حصانها . وأحضر لها روب كوجان الصبي حصانها ورفعها بولدوود برفق لكي تجلس فوق السرج .

وقالت لجبرييل : إنني ذاهبة لمشاهدة قطيع الأغنام الجديدة الخاصة بالمستر بولدوود . خذ مكاني في الحظيرة . وأشرف على الرجال لكي يؤدوا عملهم على خير وجه .

ثم انطلقت هي وبولدوود كل على حصانه .

وقال أحد الأشخاص الذين يقومون بعملية جز الصوف : ذلك معناه الزواج . ووافق جان كوجان على هذا القول . كما أيد ذلك ليبان تول ، وأضاف هنري فراي قائلا : ربما قد حان الوقت الملائم لزواجهما .. وأعتقد أنه قد قام بتقبيلها عندما كانا متواريين خلف العشب الطويل عند مغسل الأغنام منذ أيام !

فقال جبرييل : يالها من كذبة !

وتساءل هنرى فى رفق : أوه . جبرييل دوك كيف لك أن تعرف ؟

فقال جبرييل فى عدم ارتياح : لانه معجب على كل ما حدث !

فقال هنرى فى شيء من الضيق : لك الحق فى أن تصدقها . ولكنى أستطيع أن أستشف الأمور . فأى شخص يمكنه أن يكون ماهرا بحيث يصبح مديرا لمزرعة ولكن دعني له أعماقه الخاصة . هل تفهموننى يا جيرانى ؟ انني قد استعمل رأيي غنم معا ولكن لا . أوه — لا !

ولكن ماريان العجوز تدخل ليلطف الجو : هل سمع أحدكم عن رجل له ساق واحدة ليحل محل فى العمل ؟ .. فأنا لا أتوقع أن أحصل على ساق مستعارة فى أى وقت من أوقات حياتى

وبينما كان جان كوجان يرد باجابة ملائمة

استمر جبرييل فى أعمال جز الصوف فى صمت ولاحت بذهنه فكرة مزعجة فأشاعت القلق والازعاج فى كيانه الهادئ . لقد صدرت عن باتشيبا بعض الدلائل التى تشير الى أنها قد تجعله مديرا للمزرعة . وهى وظيفة كانت المزرعة فى أشد الحاجة اليها . الا أن فهمه لها فى تلك الآونة كان مشوبا بالتعنت والعصبية وعدم الصبر . فهى من المؤكد كانت تخدعه عندما تظاهرت أمامه بأنها ليس لديها أدنى اهتمام بالمستر بولدوود . وبدأ يشعر مثل باقى زملائه الذين يقومون بجز الصوف أن ذلك اليوم سيشهد الموافقة على بولدوود كزوج لباتشيبا مستقبلا .

وقال كين بول مبعدا أفكار جبرييل الى اتجاه آخر جديد : نحن العمال سنستمع بوليمة عظيمة فى هذه الليلة . فقد شاهدتهم يعدون الأطعمة فى المطبخ هذا الصباح يا مستر أوك !

فقال جوزيف بورجراس وهو يبلل شفتيه بلسانه لدى رسوخ هذه الفكرة فى ذهنه : حسنا ..

سوف أستمتع بهذه الوليمة ... بالطعام والشراب من الأمور المهمة للانسان بل ويعطيان الشجاعة المجمعة ويبثان الثقة في الجسد وبدونهما يهلك ويموت

وتم اعداد مائدة لطعام العشاء طويلة وممتدة فوق المروج الخضراء بجوار المنزل . وكان أحد طرفيها يخترق النافذة الى داخل غرفة الطعام حتى تتمكن باتشيبا من الجلوس على رأس المائدة بدون الاختلاط مع الرجال . وكانت هي في ذلك المساء مضطربة على نحو غير عادي . اذ بدا عليها كأنها تنتظر شخصا ما وقد تم ترك المقعد الموجود عند الطرف الآخر شاغرا بناء على طلبها الى أن بدأ وضع الطعام امام الناس .

وعندئذ طلبت من جبرييل الجلوس في ذلك المقعد . ففعل ذلك في اهتمام . ولكن بولدوود وصل في تلك اللحظة واعتذر لباتشيبا عن تأخره في الحضور .

فقالت باتشيبا : لو سمحت يا جبرييل انتقل من مكانك لكي يجلس فيه المستر بولدوود .

فترك جبرييل ذلك المقعد في صمت واتجه الى مقعده الأصلي .

كان المستر بولدوود مرتديا معطفا جديدا وصديريا جديدا تشع منهما البهجة وذلك بعكس ملابسه المعتادة الوقورة التي تميل الى اللون الرمادي . كما كان مبتهجا في تصرفاته وكلامه . وكذلك كانت باتشيبا مبتهجة بعد أن حضر بالفعل الى الوليمة .

وبعد أن انتهى الناس من تناول طعام العشاء ترنم جان كوجان بأغنية وتم حث جوزيف بورجراس على الغناء بأغنية أخرى . ففعل ذلك على الرغم منه .

وغابت الشمس وراء الأفق في ضباب برتقالي اللون بينما كانوا هم مازالوا جالسين حيث كانوا يتحدثون في مرح مثل آلهة الاغريق القدامى في سمائهم .

واحضرت ليدي الشموع الى الغرفة التي كانت تجلس فيها باتشيبا ولاحظ جبرييل أن بولدوود قد

دخل الى الغرفة وجلس بالقرب من باتشيبا . وبعدئذ جاء التساؤل . هل ستغني لهم الآنسة افردين قبل أن ينصرفوا الى منازلهم ؟ وبعد أن تدبرت باتشيبا الأمر للحظات وافقت على أن تغني لهم . ثم وقفت في مواجهة الرجال بينما الشموع تتراقص خلفها .

وكان غناؤها رقيقا وضعيفا وعصبيا بعض الشيء في بادىء الأمر الا أن صوتها ازداد وضوحا وثباتا تدريجيا . وقد تسببت الأحداث الأخيرة في أن جعلت اولئك الذين تجمعوا هناك يتذكرون أحد أبيات تلك الأغنية . اذ كان ذلك البيت يتحدث عن جندي تسبب كلامه الجميل المعسول في اقناع سيدة مرحة بأن تكون زوجة له .

وبعدئذ تمنت باتشيبا لهم ليلة سعيدة واغلق بولدوود النافذة وجذب الستائر . وبعد دقائق قليلة كان هناك مشهد جد رقيق مستترا وراء تلك الستائر . اذ كانت باتشيبا واقفة خلف مقعد مخصص بينما كان بولدوود راكعا ، ومستندا على مسنده في اتجاهها وممسكا بيدها بين يديه .

وكانت تقول له بصوت مرتعش وبدون أن تظهر في صوتها تلك الثقة المعهودة بالنفس : لسوف أحاول أن أحبك . واذا تمكنت من الاقتناع بأنني سأصبح زوجة مختارة ، فسوف تتولد لدى الرغبة في الزواج منك . وانا لا أريد الآن أن أعدك بالزواج في هذه الليلة .. ولكني آمل أن اتمكن من الوعد بأن أصبح زوجة لك بعد مرور ستة أسابيع .. ولكن يجب أن تتذكر الآن بوضوح انني لم أعدك حتى الآن بأنني سأتزوجك !

فقال المستر بولدوود : يكفي هذا ولن أطلب منك أكثر من هذا القول المطمئن . باستطاعتي انتظار سماع تلك الكلمات العزيزة .. والآن يا آنسة افردين طابت ليلتك !

ثم غادر المكان وهو يبتسم في ارتياح وسعادة .

لقد تعرفت باتشيبا على الكثير من جوانب شخصيته . فقد أفضى بسريرة نفسه لها الى أن أصبح شبيها بطائر عظيم بدون الريش الذي جعله عظيما .

وبدأت تشعر أنها كانت جريئة الى حد الوقاحة في الأيام الماضية ، مسبب لها هذا ما يشبه الصدمة النفسية وبدأت تناضل من أجل أن تضع الأمور في نصابها بدون أن تفكر فيما اذا كانت تستحق العقاب الذي كانت تفرضه على نفسها . ومع ذلك فهي في هذا الموقف الرهيب قد بدا عليها كأنها تعثر على بهجة مخيفة !

الفصل الحادي والعشرون

كان من بين الواجبات العديدة الملقاة على عاتق باسيما وكذلك مدير المزرعة الخاص بها هو المرور حول مباني المزرعة قبل الذهاب للنوم وذلك للتأكد من أن كل شيء على ما يرام . ولذلك كانت تحمل عادة فانوسا دائما تستعين به في فحص كل ركن مظلم منذ رحيل البوليس اللندني . ولم تكن تتوقع اكتشاف أية أمور خطيرة تزيد عن مجرد دجاجة ضائعة أو باب لم يتم غلقه بإحكام .

وفي هذه الليلة راحت تتجول حول المباني كالمعتاد .

وكانت الأصوات الوحيدة التي تقلق سكون الليل هي التنفس العميق لمطلق من أنوف غير مرئية . واجترار الطعام المنتظم في العديد من الأفواه . وكان خيالها يساعد بصرها على التعرف في أماكن متفرقة على رأس بني اللون له عينان جاحظتان محملقتان . وفوق العينين يوجد قرنان يميلان للون الأبيض ولهما شكل قمرين جديدين .

وكانت في طريق عودتها للمنزل تسلك ممرا يخترق غابة صغيرة كانت قد زرعت بالأشجار لحماية المزرعة من الرياح الشمالية . وقد نمت الأشجار بكثافة شديدة في تلك الغابة الصغيرة . أن ضوء النهار لا ينفذ الى داخلها ولو كان الوقت في منتصف النهار . وعندما تسللت في هدوء شديد للأمام . خيل اليها أنها تسمع وقع أقدام أمامها . أما أقدامها فكانت تخطو على الأرض في مثل خفة الثلج . فأغلقت فانوسها . وبعدئذ طمأنت نفسها وقالت لنفسها أن ذلك الممر يمر عبره صغار الناس بالمنطقة ومن المحتمل أن يكون هناك قروي في طريق عودته الى منزله .

واقترب وقع الأقدام أكثر . وبينما كان هيكل ما يمر بجوارها تماما أمسك شيء ما بجونلتها ودس الجونلة بشدة في الأرض ففقدت تاتشيا توازنها ولدى استعادتها لتوازنها ارتطمت بملابس داخلة بها مجموعة من الأزرار .

وجاء صوت رجل من على مسافة قدم أو نحو ذلك فوق رأسها :

ـ يا لها من مفاجأة ! هل تسببت في إيذائك أيها الصديق ؟

فقالت تاتشيا وهي تحاول جذب نفسها بعيدا : لا !

ـ أعتقد أننا قد تشابكنا سويا على نحو ما ؟!

ـ نعم .

ـ هل أنت امرأة ؟

ـ نعم

ـ أنا رجل

فقالت : « اوه » ثم ارخت نجذب نفسها في رفق مرة اخرى ولكن بدون جدوى .

ـ امسك الفانوس .. لو سمحت لي سأمسك الفانوس واحررك .

وامسكت يد الفانوس وعبرت الشمعة من سجنها ، واكتشفت بأشياء وضعها وسببها الدهشة . فالرجل الذي تشابكت معه كان يرتدي زيا رسميا فاخرا من قماش احمر ناصع وقطع نحاسية لامعة . لقد كان جنديا . وكان ظهوره المفاجئ في ظلام شبيها بصوت النمر الذي يدوي في الصمت . وفي عندما توقعت ظهور هيكل ما مخيف بملابس سوداء كانت لحقيقة الواقعة أمرا غير ذلك .. ان شاهدت شيئا جميلا ساحرا .

واتضح على الفور ان مهماز الجندي قد تشابك مع الشريط الحريري الذي كان يزين حافة جونلتها . ورفع بصره على وجهها فقال في مزيد من الأدب الجم : ساحررك في لحظات يا آنسة

فقالت بسرعة : لا . شكرا لك باستطاعتي أن أحرر نفسي !

الا ان الشريط الحريري كان ملفوفا حول المهماز بشدة حتى ان الأمر لم يكن سهلا واصبح من المتوقع ان يستغرق بعض الوقت . فانحنى هو لأسفل . وسقط الفانوس الموجود على الأرض بينهما ملقيا بالضوء على وجهيهما . ونظر نظرة عميقة في عينيها عندما رفعت عينيها لأعلى للحظات . فغضت البصر مرة أخرى ونظرت لأسفل ولكنها لاحظت أنه شاب صغير في السن ويضع ثلاثة أشرطة على ذراعه .

وقال في صراحة : لقد أصبحت أسيرة يا آنسة . ينبغي علي أن أمزق رداءك اذا كنت تريدين التحرر بسرعة . ولكن لا داعي لتمزيق الرداء اذا انتظرت لحظات أخرى ..

ثم راح يفك الخيط الحريري . واستمر في الفك للحظات طويلة بدت كأنها لا نهاية لها .

فصاحت في ضيق : اوه · هذا أمر مخز ومخجل !

واستطردت : لقد تعمدت تعقيد الأمور أكثر وأكثر لكي تبقيني هنا في هذا المكان · اني أصر على ان اقوم بنفسي بفك هذا التشابك · اسمح لي بذلك !

ـ بالتأكيد يا آنسة ··

ثم أضاف قائلا في تنهيدة :

ـ اني سعيد بهذا الحسن والجمال ، حتى عندما يلقى لي مثل العظمة التي تلقى للكلب !

وراحت باتشسا تفكر في جذب نفسها جذبة قوية لتحرير نفسها حتى ولو أدى هذا الى ترك حوذلتها كلها وراءها · الا ان هذه الفكرة كانت مريعة للغاية · اذ كانت تلك الحوذلة هي أفضل وأحسن الملابس الموجودة عندها وهي قد ارتدتها لكي تبدو جليلة ورائعة أثناء مادبة العشاء ·

واستمر الشاب يقول في تأمل وهو يرقب رأسها المنحنى لدى مناضلتها ومحاولاتها المضنية مع أشرطة الحرير المتشابكة :

ـ لقد رأيت في حياتي العديد من النساء الجميلات ولكنني لم أشاهد امرأة في مثل جمالك · ولا يهمني ان كان كلامي هذا سيسيء اليك او سيدخل السرور عليك ·

ـ من تكون أنت اذن ؟

ـ لست غريبا على هذا المكان · فأنا الرقيب تروي · وأنا مقيم في هذا المكان · انظري ! لقد فكت العقدة أخيرا · فأصابعك اللطيفة كانت أكثر حماسا وتلهفا من أصابعي · كم كنت أتمنى ان تكون تلك العقدة هي رباط الزواج بيننا الذي لا يمكن فك قيوده على الاطلاق !

وأدى كلامه هذا الى ازدياد الأمور سوءا · فنهضت واقفة وانسلت مبتعدة عنه في حذر وقد أمسكت الفانوس في يدها · وعندما حياها قائلا لها : مع السلامة ، لم ترد عليه وانما استدارت وجرت بسرعة الى داخل منزلها ·

وكانت ليدي قد دخلت توا الى فراشها · ففتحت

باتشيبا باب غرفة اليوم وقالت : يا ليدي .. هل هناك أي جندي مقيم في القرية .. جندي برتبة رقيب .. وهو جميل بعض الشيء ووسيم الوجه ويرتدي معطفا أحمر اللون به كنار أزرق ..

ـ لا يا آنسة . ولكن ربما يكون الرقيب تروي قد جاء الى القرية هنا في زيارة . وسبق له أن جاء الى هنا من قبل عندما كان سلاح الفرسان الملكي متمركزا في كاستربردج .

ـ وما هي شخصية هذا الشاب ؟

ـ آوه يا آنسة انني أخجل من التحدث عن شخصيته .. فهو رجل يميل الى المرح واللهو ! الا أنه ماهر وذكي وكان باستطاعته أن يجعل نفسه شخصا غنيا ميسور الحال . وهو يحمل اسم أحد الأطباء كوالد له بالاسم فقط ولكنه في حقيقة الأمر ابن أحد اللوردات !

ـ شيء عجيب ! أحق هذا الذي تقولينه ؟

ـ نعم . ولقد ربي تربية جيدة وتعلم في مدرسة كاستربردج ودرس بها العديد من اللغات . الا أنه ضيع العديد من الفرص التي اتيحت له ثم التحق بالجيش ولكنه سرعان ما رقي الى رتبة رقيب .. فمهارته النبيهة سوف تنالي رغم وجوده بين أوساط من الجنود العاديين . هل عاد حقا الى منزله يا آنسة ؟

ـ أعتقد ذلك يا ليدي . طابت ليلتك يا ليدي !

كيف يمكن لها أن تظل متضايقة منه . فالفتيات من أمثال باتشيبا على استعداد لتحمل قدر كبير من التصرفات غير العادية اذا كن يردن أن يمدحهن أحد او يتسلط عليهن ويسيطر عليهن أحد . وكان الشعور الأول هو الذي أثر عليها بالاضافة الى قدر ضئيل من الشعور الثاني . كما أن الحقائق المتعلقة بالمولد النبيل لهذا الشاب الوسيم قد جعلته شيقا من وجهة نظرها . وصاحت قائلة لنفسها وهي في غرفتها الخاصة :

ـ يا له من أمر عجيب .. وانني لوقحة حقا لأنني اندفع هكذا مبتعدة عن رجل لا يتسم الا بالأدب والذوق

والشفقة !

كان من الواضـــح أنهـــا لم تعد تعتبر امتداحه لجمالها من قبيل الاهانات لها . وكانت الغلطة المميتة التي ارتكبها بولدوود هي أنه لم يقل لها في أي وقت من الأوقات أنها جميلة وجذابة !

الفصل الثاني والعشرون

وذات يوم عقب الانتهاء من عملية جز الصـــوف بأسبوع أو أسبوعين ، كانت باتشيبــا تشعر بارتياح عجيب بسبب تغيب بولدوود وعـــدم وجوده فخرجت لرؤية حاصدي الحشائش اليابسة التابعين لها . كان النساء يقمن بتقليب الحشائش وتجميعها في كومات . وكان الرجال يلقون بالأكوام فوق عربة القش . ومن خلف العربة ظهر معطف أحمر ناصع . لقد كان الرقيب حيث قد جاء ليساعده في أعمال القش لمجرد التسلية . وكان يحمل العربة بالقش في بهجـــة وسعـــادة مع

الآخرين . وما أن شاهدها حتى غرز الشوكة الموجودة بيده في الأرض وتقدم نحوها . فاحمر وجه باتشيبا بالخجل والارتباك وأشاحت بوجهها بعيدا عنه .

وقال العريف وهو يلمس طاقيته لتحيتها :

آه . الآنسة امردين ! .. **واستطرد** : لم يخطر على بال مطلقا أنني كنت أتحدث معك في تلك الليلة بالعامة . واعتذر لك لأنني انسقت وراء مشاعري وعبرت عن رأيي بوضوح شديد . وحقيقة الأمر أنني لست شخصا غريبا في هذا المكان . فكثيرا ما قمت بمساعدة عمتك في هذه الحقول عندما كنت ولدا صغيرا . وكنت اليوم أقوم بنفس العمل من أجلك .

فقالت بدون أن تبدي كثيرا من الامتنان :

اعتقد انه يمضي على ان اشكرك على ذلك !

فبدا على الرقيب كأن مشاعره قد جرحت **وقال :**

ـ لا ينبغي عليك ان توجهي الى الشكر . لماذا تعتقدين أنه من الضروري أن توجهي الى الشكر ؟

ـ نعتقد أنه ليس من الضروري أن أشكرك نظرا لأنني لا أريد أن أشكرك على أي شيء

ـ أخشى أن يكون لساني قد أحدث ضررا لي يستحيل على من إصلاحه على الإطلاق . ماذا ينبغي أن يلام رجل لأنه قال لامرأة أنها جميلة ؟ ولكنني أفضل الحصول على اللعنات منك على الحصول على القبلات من أي امرأة أخرى .

فصاحت باتشيبا ضاحكة على الرغم منها بسبب الطرق الذكية التي يستخدمها . كل ما تقوله هو مجرد تظاهر وادعاءات كاذبة .

ـ ولكن يا آنسة امردين هل تغفري لي ؟ .. لقد قلت أنك حسنة وهذه حقيقة مجردة لأنك جميلة بالفعل . أقسم لك

فقالت وهي في حالة متأرجحة ما بين عدم الثقة في كلماته والرغبة في سماع المزيد من كلامه :

ـ لا تقسم لا تحلف . لا أود الاستماع الى قسمك !

ـ ولكن من المؤكد ان كل الناس الاخرين قد قالوا لك انك جميلة . اليس كذلك ؟ آه . حسنا يا آنسة فردين انت تجلبين الحزن والحسرة والأسى الى جنسنا نحن الرجال !

فتساءلت وقد اتسعت عيناها : كيف يتم ذلك ؟

فبدا على الرقيب كأنه راح في تفكير عميق وقال:
ـ الرجل منا عادة يقع في حب امرأة عادية ، ويتزوجها ويكون راضيا عن حياته ويعيش حياة مثمرة . ولكننا نجد أن مائة رجل سيرغبون في الزواج من امرأة واحدة جميلة مثلك . ويضطر حوالى عشرين منهم الى اللجوء لشرب الخمر لاغراق همومهم فيها . ويضطر عشرون آخرون الى اتلاف حياتهم لانه لا يوجد امامهم ايه طموحات اخرى . ويضطر عشرون آخرون ـ وأنا ربما اعتبر واحدا من هذه الفئة ـ الى السير وراءك وتتبع خطواتك هنا وهناك والوصول الى حيث يمكنهم مشاهدتك . لأن الرجال مخلوقات غبية ومخدوعة ، وقد يحاولون التغلب على مشاعر الحب في داخلهم ولكن الجميع سيغرق في

الحزن والكآبة اما الـ ٩٩ امرأة اللاتى يتزوجن هؤلاء الرجال ، سيغرقن في الحزن والكآبة أيضا . تلك هي قصتى . وذلك هو السبب في أن امرأة جميلة للغاية مثلك يا آنسة فردين من الصعب ان تكون بمثابة نعمة على الجنس البشرى !

وكان وجه الرقيب أثناء كلامه وقورا وقاسيا . وعندما لم ترد على كلامه استطرد هو قائلا : هل تقرأين اللغة الفرنسية ؟ .. لقد كانت والدتى فرنسية . والفرنسيون لديهم مثل مأثور معناه أن ذلك الشخص الذى يخلص في حبه ينال عقابا صارما .

هل تفهميني ؟

فأجابت وقد اهتز صوتها قليلا : آه . لو كنت مقتنعا بنصف الاقتناع الذى تتحدث به ، لأصبحت قادرا على تحمل الجرح الناجم عن ضربة سيف امرا ممتعا .. ثم استطردت قائلة له في تسرع : لن استمع الى كلامك بعد ذلك على الاطلاق . ترى كم الساعة الآن ؟

وادركت في وقت متأخر للغاية انها اخطأت عندما نالت تلك العبارة .

فنظر الرقيب الى ساعته وقال لها مستفسرا : الس لديك ساعة يا آنسة ؟ اذن ستحصلين على ساعة

وقبل ان تدرك ما يهدف اليه وجدت في يدها على الفور ساعة ذهبية ثقيلة .

واستطرد هو قائلا : تلك الساعة لها تاريخ . اضغطي على اللولب وافتحي الغطاء الخلفي . ماذا تشاهدين ؟ . انه تاج صغير لأحد الوردات والكلمات اللاتينية المكتوبة معناها [الحب هو العطاء] . وتلك الساعة كانت تخص والدي ، وهو المرحوم لورد سفيريس . وهي بمثابة الجزء الوحيد من ثروته التي آلت الي . وتلك الساعة كانت تدير شئون مصالح الامبراطورية الاحتفالات العظمى والاجتماعات السرية والسفريات الملكية . والآن اصبحت هذه الساعة ملكك !

فصاحت في دهشة وتعجب : ولكني لا أستطيع ان آخذها .. لا أستطيع ايها الرقيب بروى .

فسار الرقيب للخلف لكي يتجنب استرداد الهدية

حيث مدت يدها للامام لكي تعيدها اليه . وعندما تراجع لمحجب بعضه ... وصاحت فيه : كيف يمكن لك أن تعطيني ساعة والدك الميت ؟

فقال : لقد أحببت والدي ولكني احبك أكثر . وذلك هو السبب المباشر .

— ولكن كيف تهتم بي على هذا النحو الفجائي ؟ انت لا تكاد تعرفني . لو ... الساعة ! ولماذا ينبغي عليك أن تكون لطيفا معي الى هذا الحد ؟

وكان ... باجابة ذكية ولكنه لم ينطق بها . وانما اكتفى بالنظر اليها . كان جمالها يستحق تماما كل المدح الذي ناله حتى انه قد ذكر تماما من انه قد نطق كلمات المديح في غمر الحماس . وقال بطريقة آلية : أه . لماذا .

واستمر في النظر اليها . فصاحت وهي غير مدركة للتأثير الذي كانت تحدثه على كيانه :

ـ ان العمال عندي يشاهدونني وأنا أتبعك هنا وهناك في الحقل وهم يتعجبون من رؤية هذا المشهد . اوه ! هذا أمر شنيع !

فانفجر قائلا : انني في بادىء الأمر لم أكن ارغب في أن تقبلي الساعة كهدية . فهي البرهان والدليل الوحيد المسكين الذي يدل على دمائي النبيلة ومولدي النبيل . ولكني الآن أريد منك أن تقبلي الهدية . ولكنك اذا كنت لا تستطيعين قبولها ، فانه ينبغي على ألا أضغط عليك أكثر من اللازم !

ثم مد يده واسترد الساعة واستطرد : يجب علي ان اتركك الآن .. هل لي ان أراك مرة أخرى ؟

ـ سوف تراني بالتأكيد . ومع ذلك لا اعرف كيف سيتم ذلك . أوه ؟ لماذا جئت وسببت لي كل هذا الازعاج ؟!

ـ ربما أكون قد أوقعت نفسي في الفخ الذي كنت نصبته . فمثل هذه الأمور قد حدثت من قبل .

وداعا يا آنسة افردين !

وعاد الرقيب الى المجموعة البعيدة من العاملين في العش والحشائش . ولكن باتشيبا لم تستطع الذهاب اليهم في تلك الآونة اذ كان قلبها يدق في عنف بسبب الاثارة والقلق ، وكادت تنفجر باكية بالدموع عندما عادت الى منزلها وهي تتمتم قائلة : اوه ! ما هذا الذي فعلته ؟ ما معنى هذا الذي فعلته ؟ أود لو اعرف مدى جوانب الصدق في كل هذا الذي حدث !!

الفصل الثالث والعشرون

وفي اليوم التالي كانت باتشيبا تمشي في حديقتها لـ... المنحل الخاص بها . وكانت أعداد كبيرة من هذا النحل قد تركت خلاياها واستقرت فوق قمة شجرة تفاح مكونة كتلة سوداء متماسكة في مواجهة السماء الناصعة . وكان الرجال والنساء التابعون لها من ولدى أعمالها مشغولين في حقل الحشائش . وكانت مصممة على استعادة النحل بنفسها فوضعت يديها في قفاز جلدي ووضعت على رأسها قبعة عريضة مصنوعة من القش . كما وضعت على وجهها حجابا

كثيرا أحمر اللون . ثم ذهبت وأحضرت سلما وفرشاة وخطافا طويلا ووعاء خاصا ووضعت السلم بحيث يكون مستندا على شجرة . وبدأت في الصعود على السلم .

وفجأة سمعت صوتا قادما من مسافة لا تزيد على عشرة ياردات .. وهو صوت كان قد أخذ يحدث تأثيرا غريبا في كيانها

ـ يا آنسة إفردين . دعيني أساعدك . لا ينبغي عليك القيام بمثل هذه الأمور بمفردك !

فأسقطت باتشيبا كل شيء في يديها وجذبت جونلتها بإحكام حول نفسها وحول ساقيها وأسرعت هابطة إلى أسفل السلم . وما أن وصلت إلى الأرض حتى وجدت تروى أمامها وصاح : كم أنا سعيد لحضوري في هذه اللحظة !

وقبل أن تتمكن من الرد عليه قام هو بالتقاط المعدات بسرعة واستعد للصعود على السلم .

فقالت باتشيبا بعد أن عثرت على صوتها أخيرا

ـ ولكن يتعين عليك أن تلبس القفاز والقبعة العريضة مع الحجاب والا سيلدغك النحل في وحشية

ثم قامت بخلع القفاز والقبعة والحجاب والبست هذه الاشياء وراحت تربط اجزء الأسفل من القناع حول عنقه · وبعد لحظات قليلة أنهى مهمته بنجاح ونزل على السلم ممسكا بالوعاء على ذراعه بينما سحابة من النحل تتدفق خلف الوعاء

فقال تروى : هذا العمل الذي قمت به سيجعل ذراعي يموج بآلام أسوأ من الآلام المترتبة على التدريب على السيف لمدة اسبوع ·· واستطرد : هل سبق لك ان شاهدت أية تدريبات على السيف ؟ ·· لا ؟ ·· هل تودين ذلك ؟

فترددت باتشيبا · لقد سمعت من قبل أخبارا مدهشة عن هذه الأعمال المجيدة العظيمة الغريبة · فقالت في رفق ما كانت تحس به بقوة : نعم اود ذلك تماما !

ـ ليس لدى سيف هنا ولكن باستطاعتي الحصول على سيف بحلول هذا المساء ·

ثم تمتم مقترحا عليها شيئا ما تصورت منخفض ·

فقالت باتشيبا وقد احمر وجهها خجلا : لا · لا لا استطيع ذلك !

لكنها صمتت واذعنت وقالت :

ـ حسنا جدا · سوف اجيء ولكن لمدة قصيرة فقط !

فقال تروى : لن يستغرق الأمر أكثر من خمس دقائق ·

وفي الساعة الثامنة من هذا المساء الواقع في منتصف موسم الصيف ، وبينما كانت الكرة الذهبية للشمس بالسماء الغربية تكتسح التلال بأشعتها الرائعة ، أخذت باتشيبا تشق طريقها الى واد منعزل ومهجور يقع على مسافة ميل واحد من بيتها · وفجأة استدارت وعادت راجعة في اتجاه منزلها ·

وبعد أن قطعت نصف المسافة نظرت فيما حولها فشاهدت بقعة باهتة حمراء اللون فراحت تجري عائدة مرة أخرى في اتجاه التل . وعندما وصلت الى حافة الوادي التي تشبه صحن الفنجان أصبحت لاهثة ومتقطعة الأنفاس ومرتعدة . وكان تروي واقفا أسفل المنحدر وينظر لأعلى نحوها .

وقال وهو يخرج السيف الذي تلألأ في ضوء الشمس تحية لها . والآن لاحظ أولا أن تكون هناك أربع ضربات سريعة نحو اليمين وأربع ضربات سريعة نحو اليسار .

فشاهدت باتشيبا نوعا من قوس قزح راسما على عقب في الهواء ثم توقف ذراع تروى مرة أخرى . **ثم استطرد** : ونحن نستخدم نصل السيف وسنه المدبب في أعمال الهجوم والدفاع على حد سواء .

وراح يشرح لها ذلك عمليا . **ثم قال** : ونطارد العدو الهارب بهذه الطريقة .

وبين لها ذلك عمليا . **واستطرد** : والجنود المشاة

لهم ضربتان لأعلى مميتتان ونحن جنود الفرسان لا نستخدمهما : وهما على هذا النحو ..

ـ يا لهم من أناس قتلة وسفاكين للدماء !

ـ إنهم يسمرون بالقوة بعض الشيء . والآن سأعرض لك أمورا مسلية . أنت ستقومين بدور العدو أمامي . ولكني في كل مرة سأخطئك بمسافة عرض شعرة رأس واحدة .

وعليك الالتزام بعدم التحرك على الإطلاق .

وبعثت روح المغامرة الكامنة في كيان باتشيبا لتستمتع بهذه التجربة غير العادية . فوعدته بالوقوف ساكنة دون حراك واتخذت موقفا لها أمامه .

ـ ولكني أعرف الآن ما إن كانت لديك الشجاعة الكامنة سأقوم بتجربة مبدئية عليك .

وتلألأ السيف بجوار جانبها الأيسر . وظهر عند جانبها الأيمن . كما لو كان قد اخترق جسدها . وتم كل شيء بسرعة هائلة كالتيار الكهربائي .

فصاحت في رعب وهي تضغط بيدها على جنبها :

ـ آوه ! هل جرحت بالسيف في داخل جسدي ؟ لا . لم يحدث ذلك . اذن ماذا فعلت بالضبط ؟

فقال تروي في هدوء : لم المس جسمك على الاطلاق . والآن . هل انت خائفة ؟ اذا كنت تشعرين بالخوف لن أستمر في هذه الاستعراضات !

ـ لا أعتقد انني خائفة . ولكني لست واثقة أنك لم تحدث بي جراحا ؟ وهل السيف حاد للغاية ؟

ـ آوه . لا تخافي . عليك فقط بالوقوف ساكنة تماما مثل الصخرة !

وفي لحظة شعرت باتشيبا أنها محاطة بشعة ضوء الشمس المنعكسة على نصل سيف تروي الذي بدا وكأنه يشغل كل مكان بمجرد صدور الوميض عنه ومروره في الهواء بصوت حاد كالصفير . وخلف النصل كان باستطاعتها مشاهدة ذراع سيفه الذي يمتد مثل ضباب أحمر اللون . وخلف تلك الذراع كان يلوح وجه

تروي حيث كانت عيناه تقيسان دائما عرضها وخطوطها الخارجية . وكانت شفتاه مزمومتين في تصميم . واخيرا اصبحت حركاته بطيئة حتى انه اصبحت تشاهد تلك الحركات منفصلة بعضها عن البعض الآخر . وبعدئذ انتهى التصفير وتلاشى تماما بعد ان توقف عن الحركة .

ثم قال قبل أن تتحرك من مكانها او تنطق بكلمة واحدة :

ـ الأمر يستلزم ربط ذلك الجزء المتموج من الشعر .. واستطرد : انتظري . سأقوم بربط هذه الكتلة الصغيرة من الشعر نيابة عنك .

ثم لمع السيف في وميض وسقطت كتلة الشعر الصغيرة على الأرض . فصاح تروي : برافو ! انك لم ترمشي فيه ابدا . أنت رائعة من النادر ان تكون هناك امرأة في مثل هذا الثبات ! والآن مرة أخرى . سأقوم بقتل تلك الحشرة الواقفة عليك . ممنوع الحركة تماما !

كانت الحشرة واقفة فوق الصدر الامامي من

ردائها . وشاهدت الجزء المدبب الامامي للسيف يتلألأ نحو صدرها حيث بدا وكأنه سيدخل في صدرها فأغمضت عينيها وقد أحست أنها قتلت في نهاية الأمر . ثم فتحت عينيها كالمعتاد مرة أخرى .

وقالت باتشيبا في دهشة عندما مد سيفه وشاهدت هي الخشرة ملتصقة على سن السيف : انه سحر رائع ! ..

ثم تساءلت : ولكن كيف تمكنت من قطع كتلة من شعري بسيف ليس له حافة حادة ؟

ليس له حافة ؟ ان السيف يمكن استخدامه في الحلاقة مثل موس الحلاقة . لقد كذبت عليك كذبة صغيرة لكي لا ترتعدي من الرعب . وحقيقة الامر ان السيف كاد أن يكشط أجزاء من بشرتك على مدى ٢٩٥ مرة .

فصاحت باتشيبا : هذه قسوة شديدة منك ! قسوة !

ثم جلست على الارض فوق العشب وقد صاح

دهنها بالاضطراب والارتباك بعد أن تغلبت عليها مشاعرها تماما .

فقال تروى في رقة : لقد كنت في امان تام لأن سيفي لا يخطيء على الاطلاق .. والآن ينبغي علي ان اتركك وانصرف ولكني سأحتفظ بهذا كتذكار منك .

ثم انحنى على الارض والتقط كتلة الشعر الصغيرة ولفها حول أصابعه وفك زرار جيبه ووضعها في داخل الجيب . وبعدئذ ازداد اقترابه منها . فشعرت أنها غير قادرة على مقاومته أو رفض طلبه .

وبعد لحظات شاهدت زيه الرسمي الأحمر اللون وهو يختفي بين الشجيرات . وكانت تلك اللحظات قد دفعت بالدماء الى وجهها وأشاعت الاضطراب في جميع أرجاء جسدها كما لو كانت مشتعلة بالنيران . وبعدئذ انفجرت باكية بالدموع بعد ان سيطرت عليها مشاعر الخجل من نفسها .. لماذا ؟ .. لأن لم تروى قد طبع في رفق فوق فمها .

فهو قد قام بتقبيلها .. !

الفصل الرابع والعشرون

وبعد أسبوع او نحو ذلك قام تروى بابلاغ باتشيبا أنه ذاهب الى باث لزيارة صديق له . وكانت باتشيبا قد اصبحت أشد وضعه فى حمه تماما . حتى انها رفضت الاستماع الى أى كلام قيل فى غير صالحه . بل وتشاجرت شجارا مريرا مع جبربيل أوك عندما توسل اليها وطلب منها الاحتراس وعدم الاندفاع . وبعد ذلك بساعة واحده تشاجرت بحنون مع بندى فى مشهد رهيب تحول من الغضب الى الدموع ومن الدموع الى القبلات . ولقد قامت فى نفس هذا المساء بكتابة

خطاب موجه الى بولدوود ذكرت له فيه فى شئ من الحزم المروج بالرفق أنها قد اتخذت قرارا نهائيا . وهو انها لا تستطيع أن تتزوجه .

وفى مساء اليوم التالى غادرت باتشيبا المنزل لكى لا تتيح الفرصة لبولدوود لمقابلتها فى حالة مجيئه اليها للرد على رسالتها شخصيا . ولكى تعتذر عن مشاجرتها مع ليدى فانها منحتها اجازة لمدة اسبوع لكى تزور اختا لها متزوجة وتسكن فى الضاحية الواقعة على مسافة اميال قليلة . ووضعت الترتيبات على أساس أنها ينبغى ان تشرفهم وذلك بالاقامة معهم ليوم واحد أو يومين .

ثم تركت باتشيبا المنزل وطلبت من ماريان أن تتولى شئون المنزل نيابة عنها أثناء غيابها وانطلقت عقب توقف المطر الرعدى . وما ان قطعت مسافة ميلين تقريبا حتى شاهدت نفس الرجل الذى كانت ترغب فى تجنب مقابلته .. شاهدته آتيا لتوه تل يالبرى فى اتجاهها .

كانت مشيته بطيئة وغير راسخه وذلك بعكس خطواته الثابتة المعهوده . كانت نظراته متجهة نحـــو

الارض ولم يشاهدها الا بعد أن اصبح على مسافة ياردات قليلة منها · حيث نظر لاعلى وكان الالم البادي على وجهه أكثر تعبيرا من الكلمات ·

وقال عندما بدا عليها كأنها تريد تفادى اللقاء معه :

ـ ماذا هى الأمر ؟ أأنت خائفة منى ؟ أنت تعرفين أن حبى لك قوى وعميق مثل الموت ·· وطردى عن طريق خطاب متسرع لن يغير حبى لك !

فقالت باتشيبا فى تمتمه : آمل ألا يكون حبك لى قويا على ذلك النحو · انه لأمر كريم منك أن تحبنى ·· ولكن لا ينبغى أن أستمع لك الآن !

ـ تسمعين ؟ ماذا تظنين انى قائل · لقد قلت فى خطابك أنك لن تتزوجينى وذلك يكفى تماما ·· فخطابك كان واضحا تماما

وشعرت باتشيبا أنها محاصرة ولا سبيل امامها

للخروج من هذا المأزق الحرج · فقالت فى ضعف : طابت ليلتك !

كانت على وشك مواصلة السير عندما انفجر بولدوود قائلا : أوه · يا باتشيبا ! بالله عليك ارحمينى ! ·· نعم · لقد تدهورت بى الحال كثيرا حتى انى أطلب الرحمة من امرأة ! ·· رحمة بى كرجل يشعر بالوحدة القاسية لا تلفظينى الآن !

ـ انى لا الفظك · كيف لى أن أفعل ذلك ؟ فانا لم ارتبط بك فى أى وقت من الأوقات !

ـ لقد جذبت انتباهى اليك بارسالك تلك الرسالة ـ بطاقة عيد القديس فالنتين ـ أنت قد شجعتينى !

ـ ما سميته انت بالتشجيع كان بمثابة لعبة طفولية قامت بها امرأة تشعر بالفراغ وتريد أن تسلى نفسها · ولقد اسفت بشدة على هذا التصرف من جانبى · نعم · اسفت بشدة وبكيت بالدموع بسبب هذا

التصرف . فهل يسمح لك عقلك أن تظل تذكرني بهذه الغلطة التي وقعت فيها ؟ ألن تغفر لي وتنظر الى المسألة كلها بنوع من المرح والبشاشة ؟

– مرح وبشاشة ! هل يمكن لرجل تم استغفاله أن يجد سببا يدعوه للبشاشة والمرح ؟ يا آنسة امرديس نت لست مرأة غير مكترثة على النحو الذي تتظاهرين به الآن . كانت تتوهج بقدر كبير من الحب ، ولكن ذلك الحب قد تحول الى نحو آخر . وأنا اعرف مكان ذلك الاتجاه !

وتوقف عن الكلام وبدا عليه بالتشبيا يحدق في وحشية . ربما قد سمع شيئا عن علاقتها بالرقيب روى !

وبرهنت اللحظة التالية على أنه يعرف تلك العلاقة حيث قال : لماذا لم يتركك روى كبرى وشأنه ؟ .. فقبل أن يعرض هو نفسه عليك كنت أنت على استعداد كامل للزواج مني . أليس كذلك ؟!

فتأخرت في الرد عليه قليلا ولكنها ردت في صدق وأمانة : نعم !

– لقد سرق قلبك أثناء غيابي . لماذا لم يكسب قلبك قبل أن أعرفك؟ ان الناس الآن يضحكون استخفافا بي . لقد فقدت نفسي واحترامي وفقدت سمعتي بين الناس ، وضاع مركزي في المجتمع .. ولن أتمكن من استرداد هذه الأمور مرة أخرى ! اذهبي وتزوجي الرجل الذي تحبينه . اذهبي ! بزيه الأحمر الناصع قد ترك غشاوة على عينيك . وهو قد قبلك . هل تسمعينني ؟ لقد قبلك بالفعل . هل تقسمين على أنه لم يقبلك ؟!

فقالت في شجاعة على الرغم من شعورها بالخوف :

– نعم . لقد حدث ذلك . وأنا لا أخجل من ذكر الحقائق !

فانفجر بولدوود في غضب هامس : لعنة الله عليه ! .. سوف أجعله يندم على كل ذلك يوما ما .. وعندئذ سيتعذب ويلعن مثلما أفعل أنا الآن !

فتوسلت اليه بصيحة مليئة بالبؤس والشقاء :

ـ لا تفعل ذلك • لا تتمنى له الشر ! كن شفوقا عليه يا سيدى لاننى احبه حبا صادقا !

ولكن دمى بولدوود كانت تجتاحه مشاعر الغضب الشديد حتى أنه لم يعد يسمع توسلاتها فاستطرد قائلا : سأنزل به العقاب •• سأضربه بالسياط لانه سرق الكنز الخاص بى • ولسوف ••• •••

ثم انخفض من صوته فجأة وعلى نحو غير طبيعى وقال : يا باتشيبا •• أيتها الفتاة الحلوة الجميلة • لقد كنت أوجه اللوم لك بينما غلطته هو هى الغلطة الفادحة • لقد تمكن من سرقة قلبك عن طريق حيله الخادعة الخسيسة • ومن حسن الحظ أنه قد عاد الى ثكنات الجيش • وآمل الا يعود فى القريب العاجل • أوه أبعديه عن طريقى •• أبعديه !

واستدار وتركها • وسرعان ما اختفى هيكله فى الضوء الآخذ فى الأفول والتلاشى • وضاعت أصوات وقع اقدامه بين الأشجار الهامسية •

غطت باتشيبا وجهها بيديها • كانت تدرك ان تروى سيعود خلال يوم واحد او يومين وسيمكث حوالى اسبوع ليعود بعد ذلك الى ثكناته • ماذا ما تقابل مع بولدوود بطريق الصدفة ستنشأ مشاجرة وحشية مما قد يؤدى الى اصابة تروى بالجراح • فأى قدر ضئيل من الاهانة سيثير غضب بولدوود • وقد يؤدى غضبه الى الاندفاع نحو الانتقام • ينبغى عليها ان تمنع حدوث الصدام بينهما باية وسيلة • وينبغى أن تتصرف على وجه السرعة •

وبعد مرور ساعتين استيقظت ماريان فجأة وهى تشعر ان شيئا ما غير مريح قد أشاع القلق فى نومها • فنظرت الى الخارج من النافذة فشاهدت هيكلا ظليا يقود حصان باتشبا من الحقل المجاور للمنزل • وبعد دقائق قليلة سمعت حصانا وعربة يتم جرهما الى الخارج فى الحارة • وكانت بمفردها بالمنزل وخشيت أن تصيح بصوت عال أثناء وجود اللص • وبعد أن اختفى اللص تماما ارتدت ملابسها وجرت الى منزل كوجان — وهو أقرب منزل لها — طلبا للنجدة والعون • فقام جان

بايقاظ جبريل الذى كان يقيم هناك وذهبا سويا الى الحقل • لقد سرق الحصان ما فى ذلك شك •

وتساءل جان : كيف يمكن لنا ان نتبعه ؟ بالخيول فى مرعنا بطيئه ولا تصلح للمطارده السريعة • ولكننا اذا حصلنا على الحصانين التابعين للمستر بولدوود الموجودين عند السياج هنالك سنتمكن من عمل أى شئ •

وبعد عشر دقائق كانا منطلقين فوق حصانى بولدوود • ولكن اللص كان قد أصبح على مسافه بعيدة للامام وعند كل مفترق طرق كانا يضطران للنزول عن الحصانين وفحص آثار الأقدام تحت ضوء أعواد الثقاب• واخيرا وصلا الى الطريق الرئيسى المؤدى الى باث • وهناك شاهدوا امامهم مباشرة الخوابر الخمسه البيضاء للبوابة التى تعترض الطريق كما شاهدوا الشكل القاتم لعربة تقف امام البوابة • كان البواب خارجا لتوه من منزله دون ان يكمل ارتداء ملابسه وقد امسك بيده مصباحا •

فصاح جبريل : دع البوابة مغلقة ! لقد سرق الحصان !

ولكنه عندما اقترب بحصانه ونظر فى وجه السائق شاهد وجه امرأة •• شاهد وجه سيدته باتشيبا !

فتساءلت : وهى تغطى دهشتها باللجوء الى البرود وهدوء الأعصاب : حسن يا جبريل الى أين انت ذاهب ؟ هل كنت تتبعنى وتسير ورائى ؟

فقال جبريل فى ارتباك : لقد اعتقدنا أن الحصان قد سرق •

ـ كم انتم أغبياء ! الا يمكن لسيدة ان تتحرك مقدار بوصة بعيدا عن بابها بدون مطاردتها كأنها لصه ؟ هناك موضوع هام حتمى الغى زيارتى للبيدى واطلق على الفور • ولم استطع ايقاظ ماريان رغم انى طرقت على بابها بشدة • يا لله ••• أليس هذان الحصانان يخصان المستر بولدوود ؟ •• لماذا تجلبون على المتاعب بهذه الطريقة !؟

فتساءل جان كوجان : وكيف لنا ان نعرف الأمور التى تحدث طالما انك لم تطلعى أحدا على تحركاتك ؟ فالسيدات لا يسقن العربات فى هذه الساعات المتأخرة بوجه عام يا آنسة !

ـ لقد تركت بالفعل خبرا يفيـد بأننى غـادرت المنزل • فقد كتبت ذلك بالطباشير على باب الاسطبل •

ورغم أنها كانت متضايقة الا انهـا كانت لديهـا الرغبة فى توجيه الشكر لهما على اخلاصهما الشديد • ولذلك اضافت قائلة :

ـ أشكركما على تكبد كل هذه المشاق • أيمكن ان تعودا الآن لو سمحتـا ؟ فأنا باستطاعتى تدبير امورى جيدا • ولسوف أصل الى باث مع تباشير الصباح ••

ومرت من البوابة وانطلقت متوارية فى الظلام • واستقل جان وجبرييل بحصانيهما • وقال جان بينما كانا ينطلقان عائدين الى المنزل : ولكنها لن تصل الى باث بحلول ضوء الصباح !

الفصل الخامس والعشرون

ومر أسبوع بدون أن تصـــل أية أنبـاء عن باتشيبا • وبعدئذ وصلت رسالة الى ماريان تقول فيها ان الأعمال ما زالت تبقيها فى باث • ومر أسبوع آخر وبدأ حصاد القمح • وفى داخل المنازل لم تكن هناك اصوات سوى أصوات الذباب • وفى الخارج كان جميع الرجال يعملون بالحقول تحت سماء شديدة الزرقة ، وبين نسمات الهواء المرتعدة فى ظلال الظهيرة •

وكانوا على وشك الحصـول على قدر من الراحة فى الظل عندما ظهر هيكل يرتدى معطفا أزرق به أزرار

محاسيه ، ويهرول نحوهم عبر الحقول . كان ذلك الهيكل هو كين بول الذى كان فى أجازه لأيام قليله حيث حدثت اصابة فى يده منعته من العمل معهم . وكان يأكل أثناء الجرى وعندما قترب منهم بدأ يكح فى عنف .

وقال ردا على تأنيب وجهه له جبرييل : لقد انزلقت قطعة من الخبز فى مكان خاطئ يا مستر أوك ! ثم استطرد : لقد كنت فى زيارة لباث وشاهدت بعض سيدتنا هناك .

ورأيت الكحة معرقلته عن مواصلة سرد الأنباء ثم صب له جان بعض السيدر (١) فى فمه . ولكن الكحة ازدادت سوءا . وصاح كين بمجرد أن تمكن من التحدث مرة أخرى فقال : لقد ارتفع السيدر الى أنفى .. والآن هبط السيدر الى أسفل رقبتى .. ولوث أفضل الثياب عندى !

(١) مشروب يستخرج من عصير التفاح .

وتساءل جبرييل فى نفاد صبر : ماذا شاهدت يا كين ؟

ـ لقد شاهدت سيدتنا تتجول فى حديقة وقد تأبطت ذراع جندى . واعتقد أن ذلك الجندى هو الرقيب ترو . وكانت هى ترتدى فستانا حريريا ذهبيا .. وكانت تسريحة شعرها رائعة . ثم جلسا سويا فوق أحد المقاعد لمدة نصف ساعة حيث كانا يتحدثان فى اهتمام وجدية ووقار . وكانت هى تبكى أيضا . وعندما خرجا من الحديقة كانت عيناها تلمعان . وبعدئذ دخلت أنا فى محل لبيع الفطائر ، ولم أشاهدهما بعد ذلك مرة أخرى ..

وبعد أن حصل الرجال على قدر من الراحة عادوا جميعا الى أعمالهم بما فيهم جبرييل . لم يكن جبرييل ملزما بتقديم المساعدة فى انجاز الأعمال بحقل القمح ، ولكن القمح كان ملكا لباتشيبا ، ولذلك تطوع لأداء المساعدة . وكان جان كوجان يفهم مشاعره تماما ولذلك قال فى هدوء :

ـ لا تقلق عليهـا هكذا يا جبريـل • فطالما انها ليست معشوقتك فهل يهمك ان تكون هي معشوقة ؟

فقال جبريل : ان ذلك هو بالضـبط ما أقوله لنفسي !

وفي نفس هذا المساء كان جبريل مستندا على بوابة حديقة كوخان قبل الذهاب للنوم عندما سمع صوت عربة يجرها حصان آتية في الحارة ، فتعرف على الفور على صوتي باتشيبا وليدى • وشعر بالارتياح لعودتها بالسلامة الى منزلها • وطارت جميع الأفكار الأخرى من رأسه • ومرا بالعربة وظل هو واقفا هنالك الى أن خيم ظلام الليل تماما وملأ السماء • وبعدئذ مر أمامه ببطء هيكل قاتم وقال له : مساء الخير !

وكان ذلك الهيكل هو بولدوود • فرد جبريل التحية ثم دخـل للمنزل للنوم على السرير • ولـكن بولدوود استمر في سيره في اتجاه منزل باتشيبا وطرق بابهـا •

ولم يكن قد خرج من مزرعته منذ أن قابلهـا في آخر مرة • وكان قد ظل حبيسا للصمت والوحدة ومليئا بالأفكار المريرة ، الا أن حالته النفسية قد تحسنت تدريجيا ، فجاء ليعتذر لها عن انفجاره العنيف • وكان قد سمع لوا أنباء عودتها • ولكنه كان يعتقد انهـا كانت مع ليدى حيث لم يكن يعرف أية أخبار عن رحلتها الى باث •

وكانت طريقة ليدى وسلوكها غريبا عندما وصلت الى الباب ولكنه لم يلحظ ذلك • وقالت له بعد ان اخذت منه رسالته : ان سيدتي لا تستطيع مقابلتك يا سيدي!

فغادر المكان على الفور ولكنه لم يسرع بالعودة الى منزله • وكانت الساعة العاشرة مساء عندما شاهد عربة تدخل القرية • وخرج من العربة هيكل يرتدى الزى الرسمي الأحمر اللون وسار الهيكل صاعدا التل في اتجاهه ، وقد أمسك بيده حقيبة سفر •

فتقدم بولدوود خطـوة للأمام وقـال : الرقيب تروى ؟ •• أنا وليام بولدوود !

ـ حقا ؟

وكانت الطريقة التى قيلت بها هذه الكلمة كافية لأن تجعل بولدوود يدخل فى الموضوع مباشرة • اذ قال : أود التحدث معك بشأن السيدة التى تعيش أمامنا هناك وبشأن سيدة أخرى أسأت اليها من قبل •

فقال تروى وهو يحاول مواصلة المسير : اننى أتعجب من أخلاقك السيئة !

فقال بولدوود وهو يقف أمامه ليمنعه من مواصلة المسير : استمع الى • لسوف تتحدث معى سواء رغبت فى ذلك أو لم ترغب !

وأدرك تروى التصميم الذى ينبع من صوته ونظر الى بنائه الجسمانى القوى وشاهد العصا الغليظة التى يمسكها فى يده فقال : حسن • سأستمع اليك • ولكن عليك بالتكلم بصوت منخفض لكيلا يسمعنا أحد ••

ـ اننى أعرف مسألة حب فانى روبين لك • ينبغى عليك أن تتزوجها !

فقال تروى بعد لحظة صمت :

ـ من المفروض أنه ينبغى على • ولكننى لا أستطيع لأن •• ثم استطرد قائلا : لأننى فقير للغاية !

وتغيرت نبرة صوته • كان صوته فى بادىء الأمر شجيا ولكنه أصبح بعدئذ مليئا بالخداع والدهاء •

ولم تكن الحالة الذهنية لبولدوود تسمح له بملاحظة هذا التغير الذى طرأ على صوت تروى • فاستطرد : اننى أهدف الى عمل ترتيبات معك تعود عليك بالنفع والفائدة • لقد كنت أنا أصبح فى حظيرة الزواج من الآنسة افردين • ولو لم تظهر أنت فى أفق حياتها ، لكانت قد وافقت بالفعل على الزواج بى فى هذه الآونة • وأنت كنت ستتزوج فانى لو لم تشاهد باتشيبا • وهناك فارق كبير للغاية فى الوضع الاجتماعى بينك وبين الآنسة افردين • ولذلك فأنا أطلب منك الا ترعجها بعد ذلك • تزوج فانى وأنا اليوم بمساعدتك ؟

— كيف ؟

— سادفع لك مبلغا كبيرا من المال الآن بحيث لا تعانى من الفقر مستقبلا . خذ حقيبتك وعد أدراجك واتركـ وذريرى فى هـذه الليلة . وعندئذ ساعطيك خمسين جنيها الآن . وقل لى عنوان فانى لكى اعطيها خمسمائة جنيه لى نفس اليوم الذى تتزوج فيه .

وكان صوت بولدوود يوحى بانه يدرك مـدى ضعف موقعه . فهو قبل شهور قليلة كان سيحتقر مثل هذه لخطة على اساس انها خطة حمقاء وصبيانية .

فقال تروى : انى أفضـل فانى . واذا كانت الآنسة افردين فى غير متناول يدى كما تقول فانه من الأفضل لى أن آخذ النقود وأتزوج فانى رغم أنهـا ليست سوى خادمة . لقد قلت خمسين جنيهـا فى الحال !؟

فقال بولدوود وهو يعطى تروى مجموعة صغيرة من النقود : نعم . لقد قلت ذلك . وها هى خمسون جنيها من الذهب !

وقال تروى هامسا : انصت ..

وترامى صـوت وقع اقدام خفيفة على الطريـق امامهما . **فاستطرد تروى** :

— انها باتشيبا . ينبغى أن اذهب لمقابلتها !

فقال بولدوود فى دهشة : باتشيبا ؟ .. تخرج وحدها فى هذه الساعة المتأخرة ليلا ! ولماذا ينبغى عليك أن تقابلها ؟

— انها تتوقع مجيئى الآن . والآن ينبغى على ان اذهب اليها واودعها للأبد تنفيذا لرغبتك . ولسوف تسمع كل الكلام الذى اقوله لها . امسك حقيبتى نيابة عنى . وارهف السمع !

واقترب صـوت وقع الأقـدام الخفيفة . وكان الصوت يتوقف من وقت لآخر كما لو كانت تحاول الاصغاء لسماع أى صوت . وراح تروى يحدث صفيرا مزدوجا مثل تغريد الطيور وتقدم للأمام نحوها .

وجاء صـوت باتشيبا رقيقا : فرانك يا عزيزى

هل جئت يا حبيبي ؟ .. لقد تأخرت كثيرا عن موعدك ! فلقد سمعتك تدخل الى القرية بالعربة منذ بعض الوقت .. يا فرانك . من حسن الحظ انه لا يوجد بالمنزل سواى . اذ أرسلت ماريان لمنزلها لقضاء الليلة هناك . وليدى قد ذهبت الى هناك لتخبره بأخبارها .

فقال تروى : شىء رائع ! استبقيهم الى منزلك لحين احضار حقيبتى واعدك ان أصل الى غرفة الجلوس بمنزلك فى خلال عشر دقائق .

فاستدارت وقفلت راجعة .. وأثناء هذه المحادثة كانت شفتا بولدوود المزمومتان ترتعدان . وكان وجهه غارقا فى العرق الغزير . وما أن رجع اليه تروى حتى قفز عليه وأمسكه من رقبته .

وشعر تروى بقبضة بولدوود الحديدية حول رقبته **فقال** : توقف عن هذا . انك بهذا التصرف تؤذى الانسانة التى تحبها !

فزمجر بولدوود ورفع يديه عن رقبة الجندى

دون ان يكون راغبا فى ذلك . والقى بتروى على السياج **وقال له** : ايها الشيطان !

وكان تروى على وشك الرد على هجومه بهجوم مضاد ولكنه كبح جماح نفسه **وقال فى هدوء** : القتال طريقة غير حضارية فى تسوية الخلافات . فانا سأترك الجيش قريبا لنفس هذا السبب . وطالما أنك قد شاهدت بنفسك مدى حب باتشيبا لى فانك سترتكب خطأ جسيما اذا قتلتنى . أليس كذلك ؟

فقال بولدوود مرددا نفس العبارة بطريقة تلقائية :

ـ سيكون خطأ جسيما اذا قتلتك .

ثم استطرد فى قلق وعصبية : تروى . اتخذ منها زوجة لك . فانا الآن لم أعد أريدها . وينبغى عليها أن تحبك لكى تبيع نفسها لك مثلما فعلت . يا لها من امرأة تعيسة ! امرأة ضالة !

فقال تروى : ولكنها تمتلك ارادة قوية .. ولها

مراجها الخاص بها .. ولسوف أكون مجرد عبد لها كان باستطاعتي عمل اى شيء مع فانى روبين .

فتوسل بولدوود قائلا : يا تروى . لا تتركها الآن . لا تترك باتشيبا . اخلص في حبها .. وكن رفيقا وعطوفا عليها .. ولسوف افعل أى شيء من اجلك . أود أن تسارع بالزواج منها . وينبغى عليك أن تمضي ابتعادك !

ـ كيف ؟

ـ بأن تعطى النقود لباتشيبا بدلا من اعطائها لفانى . لا . انها لن تقبل النقود . سادفع لك النقود في يوم الاحتفال .

ودهش تروى من السخافة الجامحة لمشاعر الحب لدى بولدوود . وقال في غير اهتمـــام : هل لى أن احصل على أى شيء الآن ؟ .

فجذب بولدوود حافظــة نقود من جيبه وقال : نعم . اذا كنت ترغب في ذلك . لدى في هذه المحفظة

٢١ جنيها واذا جئت الى منزلى سنكتب اتفاقا بالمبلغ الباقى .

فقال تروى : ســـنذهب أولا الى باتشـــيبا ونخبرها ..

ثم سار سويا نحو منزلها . وعندما وصلا الى مدخل المنزل قال تروى : انتظر لحظة .

ثم انزلق الى داخل المنزل . وبعد دقيقتين ظهر مرة اخرى وقد امسك بيده شمعة وجريدة مطوية وقال : أيمكنك أن تقرأ هذه الجريدة ؟ سأرفع لك الضوء لتتمكن من القراءة .

فنظر بولدوود وقرأ :

حالات الزواج

في ١٧ اغسطس وبكنيسة القديس امبروز وهى بلدة باث . تم عقد قران فرنسيس تروى وهو الابن الوحيد للمرحوم الدكتور ادوارد تروى من

ودربرى وهو رهيب فى حرس الفرسان الحادى عشر . على باتشيبا وهى الابنة الوحيدة للمرحوم المستر جون افردين من كاسترپردج .

وتقصف الجريدة من يد بولدوود . واستطرد تروى ضاحكا فى استخفاف وهو يقول : ٥٠ جنيها من أجل أن أتزوج فانى . ثم خمس . وواحد وعشرون جنيها لكيلا أتزوج فانى وإنما لكى أتزوج باتشيبا . ثم خمس . وما هى النتيجة ؟ إننى تزوجت باتشيبا بالفعل . والآن يا بولدوود أقول لك أن عقلك غائر وسخيف لأنه يسير دائما وراء التدخل بين رجل وزوجته . وأنا ربما أكون شخصا سيئا ولكنى لست وضيعا بحيث أحصل مسألة زواج أو بؤس أية امرأة متعلقة بالنقود . لقد تركتنى فانى منذ فترة طويلة . ولا أعرف المكان الذى تعيش فيه الآن . ولقد بحثت عنها فى كل مكان . وطالما إننى قد أعطيتك درسا فى الحياة فإننى أعيد إليك نقودك !

والقى بالنقود فى الحديقة فى ازدراء شديد .

فزأر بولدوود فى غضب : أيها الشيطان ! ..

سأنزل بك العقاب ! اقسم اننى سأنزل بك العقاب فى يوم ما !

وانفجر تروى ضاحكا ثم أغلق الباب بالقفل من الداخل . وربما شوهد الهيكل الداكن لبولدوود يجول طوال تلك الليلة فوق التلال مثل شبح يعج بالقلق والاضطراب . وفى صباح اليوم التالى اكتشفت القرية أن مزرعة ودربرى العليا قد أصبح لها سيد جديد .

الفصل السادس والعشرون

وذات ليلة فى نهاية شهر أغسطس وقف جبرييل أوك ساكنا فى فناء المزرعة العليا محملقا فى وجه القمر وفى السماء . كان الليل مليئا بالدلائل والعلامات الخطيرة . اذ هبت ريح دافئة من الجنوب وتلاطمت مع الأشجار . الا أن مستويات مختلفة من السحب كانت تطير فى اتجاهات مختلفة . وكان وجه القمر لدى رؤيته من خلال السحب ، له منظر معدنى غريب .

كان الرعد وشيك الوقوع . وكانت الدلائل الأخرى تشير الى أن الرعد سيعقبه مطر شديد . ففى

خلال اثنتى عشرة ساعة ، سيكون جو موسم الحصاد قد ذهب . فنظر جبرييل فى قلق الى ثمانية أكوام كانت مكشوفة وغير محمية وكانت تمثل نصف انتاج المزرعة فى تلك السنة . وبعدئذ استمر فى السير الى مخزن الحبوب .

كانت تلك هى الليلة التى اختارها الرقيب تروى الذى أصبح يتولى زمام الأمور بدلا من زوجته للاحتفال بموسم الحصاد ، وتناول العشاء والخوض فى الرقص والابتهاج . وعندما اقترب جبرييل تزايد سماعه لصوت الموسيقى والرقص . وكان أحد الأبواب الضخمة مواربا فنظر الى الداخل . كان الطرف القريب من مخزن الحبوب مليئا حتى السقف بالقمح اما باقى المساحة فقد أخليت ليتم فيها الرقص . وكانت هناك فرقة من العازفين تعزف فى حنون بينما العرق يتصبب من وجوههم . وكانت باتشيبا واقفة عند الطرف البعيد ترقب المشهد من خلف منضدة مغطاة بالطعام والشراب والخمور . اما تروى فكان واقفا فى تراخ وخمول الى جوارها .

وعندما انتهى الرقص تجنب جبريل باتشيبا الا انه بعث برسالة الى الرقيب طالبا التحدث معه . وكان الرقيب فى تلك الآونة قد جلس خلف المنضدة ، وراح يحتسى الخمور فلم يوافق على مطلبه .

فقال جبرييل : لو سمحت أخبره أن المطر الشديد على وشك الهبوط مدرارا . ولذلك ينبغى أن نفعل أى شيء لحماية أكوام القمح !

وجاء الرد : يقول لك المستر تروى أن السماء لن تمطر .. وأنه ليس لديه الوقت لمناقشة مثل تلك المخاوف السخيفة .

فقرر جبرييل الذهاب الى منزله لأنه لم يكن متشوقا لرؤية مظاهر الاحتفال فى نشوة الضلال . ولكن فى تلك اللحظة نهض تروى واقفا لالقاء كلمة **فقال** : أيها الأصدقاء .. ليست هذه حفلة عشاء من أجل الاحتفال بموسم الحصاد فقط ، وانما هى أيضا من أجل الاحتفال بزواجنا . ولكى يعود كل رجل الى بيته سعيدا فقد أمرت باحضار بعض زجاجات البراندى

والخمور الأخرى . وسيتم تسليم كل ضيف مشروبا روحيا قويا !

فوضعت باتشيبا يدها على ذراعه وتوسلت اليه :

ـ لا .. لا تقدم لهم مشروبات روحية أخرى يا عزيزى ! لأن ذلك يسبب لهم المتاعب الصحية . فهم قد حصلوا بالفعل على قدر كاف من الشراب والطعام والخمور .

وقال أحد الرجال : هذا صحيح . فنحن لا نرغب فى المزيد من الخمور . وشكرا لك .

هنا قال الرقيب فى تأنيب : كلام فارغ ! .

ورفع صوته معلنا فكرة جديدة : أيها الأصدقاء . لسوف نرسل النساء الى المنازل . فقد حان الوقت ليذهبن للفراش والنوم . ثم نقوم نحن الرجال بعمل احتفال مرح بأنفسنا . واذا خاف أى رجل من البقاء معنا ، فيمكنه أن يبحث لنفسه عن عمل فى مكان آخر لتأدية أعمال الشتاء !

مغادرت باشيبا شونة الغلال في ضيق وضجر وتبعها جميع الأطفال والنساء . وانسحب الموسيقيون والمارون في هدوء خارجين الى عرباتهم وانطلقوا في طريقهم . وظل جبرييل واقفا في الشونة لبعض الوقت لكيلا يبدو وكأنه قليل الذوق في نظر الآخرين . وبعدئذ انسحب في هدوء متبوعا بلمسة ودية من جانب الرقيب لأنه لم ينتظر لحين تناول جرعة أخرى من الخمور .

وعندما وصل جبرييل الى المنزل كان قلقا للغاية لدرجة انه لم يذهب الى سريره للنوم . وظل جالسا لفترة طويلة وقد راح في تفكير عميق . ان بناء شونة الغلال ليس من اختصاص الراعي . فالراعي غير مسئول عنه . ولكن لم يكن هناك اى شخص آخر مسئول عن الغلال على ما يبدو . وهو بالتأكيد لا يمكن أن يكون مخطئا في حكمه على الجو . فالسماء قد اظهرت دلائل التحذير ، بل وقد أظهرت ذلك أيضا جميع المخلوقات الوحشية في الطبيعة .

ثم تذكر شيئا : ان سلوك الأغنام هو الدليل

الوحيد الواضح تماما الذي يدل على قرب حدوث العاصفة . فغادر منزله وهرول مخترقا ثلاثة حقول ثم نظر من فوق سياج الى معظم أغنامه .

كانت الدلائل والبراهين واضحة ، فالأغنام لم تبد عليها اى ذعر لدى ظهوره امامها، لأنها كانت تمر بالفعل بحالة من الذعر الشديد تفوق كثيرا مجرد الخوف من رجل . كما تلاحظ له أنها قد تراصت مع بعضها البعض على نحو معين بحيث كانت ذيولها تواجه الاتجاه الذي ستهب منه العاصفة .

وحينئذ ادرك جبرييل انه على حق وأن برودي على خطأ . فعاد الى بناء الشونة حيث كان الكل في صمت وأكوام القمح تقف داكنة في مواجهة السماء . ثمانية أكوام ! .. وطبقا لحساباته كانت تلك الأكوام بمثابة طعام للانسان والحيوان يقدر ثمنه بحوالى سبعمائة وخمسين جنيها . فهل يغامر ويتركها تتلف بسبب اهمال شخص ما آخر ؟ **وقال جبرييل لنفسه بصوت مسموع** : أبدا لن أتركها تتلف اذا كان باستطاعتي أن أحميها من التلف !

وعاد الى الشونة طلبا للمساعدة . كان الكل صامتا في الداخل . ولكن كان هناك ضوء خافت ما زال يسطع من خلال المدخل . فنظر الى داخل الشونة فشاهد منظرا غير عادي . كانت معظم الشموع قد احترقت حتى النهاية وانطفأت . بينما شموع أخرى كانت ما تزال تنش وتقطر منها المواد المنصهرة على الأرض . وكان عمال المزرعة مستلقين وفاقدي الوعي تحت المنضدة أو عند أرجل الكراسي . وكان جان كوجان ملقى على ظهره وقد فتح فمه . أما جوزيف بورجراس فكان متكورا بجسده مثل القط .. وكانت نقط من الماء المسكوب ما زالت تتساقط من فوق المنضدة على رأس مارك كلارك . وكان الرقيب ترو‌ى يجلس بينهم جميعا . كان يجلس فى كرسي ملقيا ظهره للخلف .

ونظر جبرييل حوله في يأس . وراح يهز ماثيو مون الذى يقوم عادة بعمل السقوف المصنوعة من القش على وجه السرعة . ولكن الهز لم يأت بنتيجة . فأسقط رأس ماثيو على الأرض . وقام بهز ليبان تول

ولكن دون جدوى أيضا . وكان يدرك أن اللوم لا يقع على هؤلاء الرجال الذين وصلوا الى هذه الحالة المخزية لأن الرقيب تروى هو الذى أصر في وحشية على أن يشربوا البراندى معه مما اضطرهم الى الموافقة على الرغم منهم . فهم منذ شبابهم لم يعتادوا على تناول شراب أقوى من السيدر أو البيرة . ولذلك كان من الطبيعي أن يتساقطوا هكذا فاقدى الوعي .

وشعر جبرييل بالحزن الشديد لدى رؤيتهم وقد انحدروا الى هذا الوضع . ثم قام باطفاء الشموع المتبقية لأنها من الممكن أن تؤدى الى اشتعال الحرائق . وخرج وحيدا مرة أخرى الى الليل الموحش . اذا كان ينبغي انقاذ أكوام القمح فانه سيضطر الى انقاذها معتمدا على نفسه وعلى ساعديه ويديه !!!

الفصل السابع والعشرون

كانت الريح الجنوبية الدافئة ما زالت تهب • وكانت هناك سحابة سوداء ضخمة ترتفع فى جهة الشمال عندما قام جبرييل بجر اربعة اقمشة شراع ضخمة عبر الفناء • وسرعان ما تم تغطية كومتين عظيمتين من كنوز القمح فى أمان بعد أن وضع اثنين من هذه الاقمشة على كل كومة •• وأصبح الأمر يستلزم تغطيـــة الكومتين الأخريين فراح يجمع كل القش والتجهيزات التى يحتاجها •

وظهر وميض من الضـوء عبر السماء ، وامتلأ

الهواء برنين بعيد • وكان ذلك بمثابة البادرة الأولى التى تنبئ عن اقتراب حدوث العاصفة • وكان الانفجار الثانى للرعد صاخبا وان كان مصحوبا ببرق أقل •

وشاهد جبرييل شـمعة تتلألأ فى غرفـة نوم باتشيبا ومر ظل بسرعة عبر الستارة • وبعدئذ حدث وميض ثالث فاستطاع جبرييـل الرؤية عبر الحقول لمسافة تبلغ ستة أميال على الأقل • اذ كان كل سياج وكل شجيرة وكل شجرة واضحا ، كما لو كان مرسوما بالقلم الرصاص على لوحة •

وراحت بعض الماشية الصغيرة تهيج هنا وهناك فى ذلك الجو الملىء بالفوضى ، وتلقى بذيولها لأعلى فى الهواء ، وتميل برؤوسها نحو الأرض • وبعدئذ اختفت الصورة مخلفة وراءها ظلاما دامسا كاملا حتى كان يضطر جبرييل الى العمل عن طريق التحسس بيديه •

وضرب البرق التالى الكتلة الحديدية المدببة التى كانت مغروزة فى السقف المصنوع من القش • وكان ذلك امرا خطيرا • فأحضر سلسلة طويلة وثبت أحد

طرفيها في الكتلة الحديدية وترك الطرف الآخر متدليا حتى الأرض لكي تصبح بمثابة موصل صواعق متصل بالأرض لوقاية المباني من أخطارها • ثم شعر بعد ذلك بالأمن والأمان بعض الشيء •

وكشفت موجة البرق الخامسة عن سيدة واقفة في العماء •• **فقال جبرييل مخاطبا الظلام** :

ـ من أنت الواقفة هنا يا سيدتي ؟ انني موجود هنا فوق السطح لمعالجة السطح القشي للكومة !

ـ أوه • يا جبرييل • لقد أيقظتني العاصفة • وخطر على ذهني ضرورة القيام بعمل أي شيء لحماية القمح • وأنا الآن في غاية القلق • هل باستطاعتنا انقاذ القمح ؟ انني لم أعثر على زوجي • ولقد وعد بأنه سيرعى شئون أكوام القمح •• وها هي جميع الأكوام قد أصبحت بدون رعاية • هل لي أن أساعدك ؟ ان ليدى نائمة ولا ترغب في الخروج من المنزل !

ـ يمكنك أن تحضري لي كومات من القش يا آنسه • كومة وراء كومة • اذا لم تكوني خائفة من

السلم في الظلام • فكل لحظة لها قيمتها والوقت الآن من ذهب وإذا فعلت ذلك ستوفرين على بعض الوقت •

فقالت في شجاعة : سأفعل أي شيء لانقاذ الموقف ! •

ووضعت كتلة من القش فوق كتفها وصعدت على السلم ثم هبطت لاحضار كومة أخرى • وومض البرق ودوى الرعد مرتين متعاقبتين ، ثم ساد الصمت لمدة أربع أو خمس دقائق فاعتقد جبرييل أن أسوأ مراحل العاصفة قد انتهت • الا أن برقا فجائيا تفجر **فصاح قائلا** : « انتظري • لا تتحركي » • وأمسك بكتلة القش من فوق كتفها وأمسك بذراعها •

وعندئذ فتحت أبواب السماء وأصبح البرق شديدا ومجاليا وله طبيعة خطيرة على نحو لا يصدقه العقل • ولم يشعرا الا بروعة وعظمة البرق وجماله الساحر • اذ كان البرق يتقافز من الشرق والشمال والجنوب وكان بمثابة رقصة موت متقنة • كأن أشكال الرجال الموتى تظهر في الهواء وقد تشكلت

باللون الأزرق الذى يدل على الظلام .. وكانت تتراقص وترقص وتتسابق فيما حولها فى فوضى وارتباك .. مع ثعابين من النار الحمراء التى تتشابك وتتداخل وتلتف وتدور بينها . وقد استقرت احداها فوق قمة القضيب الحديدى الذى وضعه جبرييل ثم جرت لأسفل على نحو غير مرئى ثم لأسفل السلسلة نحو الأرض . وانشقت شجرة طويلة لاتبعد كثيرا عنها ثم اشتعلت بالنيران وفى نفس الوقت صدرت صيحة رعدية من كل جزء من أجزاء السماء الهوائية المتحطمة.

وكاد جبرييل يفقد الابصار وكان باستطاعته الشعور بذراع ماتشيا يرتعد فى يده .. احساس مثير . الا أن الحب والحياة وكل ما هو انسانى قد بدا ضئيلا وتافها فى مواجهة مثل هذا الكون المجنون . **وقال على وجه السرعة** : لقد كدنا نموت ونهلك . من الأفضل أن نهبط وننزل الى الأرض .

ولم تتكلم ماتشيا . ولكنه كان يشعر بأنفاسها تتلاحق بسرعة وتبعها هابطا من فوق القمة

الكومة . **وقال** : يبدو أن العاصفة قد توقفت الآن .

وذلك بعد أن وقفا للحظات قليلة فى صمت . **واستطرد قائلا** : انى لا أعرف السبب فى أن الدنيا لم تمطر رغم كل هذا الرعد والعواصف ولكن هذا كان فى صالحنا . سأصعد مرة أخرى فوق الكومة .

— يا جبرييل . اننى لا أستحق كل هذا العطف الذى تشملنى به .. ولكن لماذا لم يحضر الآخرون الى هنا .. ؟

ثم لاحت بذهنها فكرة فجائية **فصاحت** : آه . انا أعرف السبب . فهم جميعا غارقون فى نوم عميق فى الشونة .. نوم عميق ناجم عن كثرة تناول الخمور . وزوجى نائم بينهم . وهذا هو السبب . أليس كذلك ؟!

فقال جبرييل : « لست متأكدا من ذلك » . ثم ذهب الى الشونة ونظر من خلال شرخ فى الباب ليرى ما اذا كانوا لايزالون هناك . كان الجميع غارقين فى

الظلام لا انه تمكن من سماع اصوات تنفسهم العميق. ثم سمع تنفسا عاليا بجواره . لقد نمته باتشيبا وراحت تنظر من خلال نفس الشرخ .

وبينما كانا عائدين للاستمرار فى تدعيم السقف بمزيد من القش قالت فجاة بصوت رزين : هل كنت تعتقد أننى قد انطلقت بالعربة الى باث فى تلك الليلة لكى أتزوج ؟!

فاجاب : لقد أعتقدت ذلك فيما بعد . ولم اعتقد ذلك فى بادىء الأمر .

وقد ادهشـــه أنها غيرت مجرى الحديث لدى القائها بهذا التساؤل .

ـ لقد اعتقدت انك تصورت أننى ذهبت لكى اتزوج . ولكن الحقيقة ليست كذلك . فالأمور قد تطورت بسرعة وحدثت أمور عقب وصـــولى الى باث مما ادى الى روحى . اذ قال لى انه قد تقابل توا مع امرأة اكثر منى جمالا ، وانه ربما يتحول فى حبه الى

تلك المرأة الأخرى اذا لم أصبح زوجة له فى الحال . فاصابنى القلق الشديد . وبعدئذ اخترت أن أتزوجه لكى انقذ نفسى من الغيرة والهم والقلق الشديد !

ولم يرد جبرييل عليها .

ـ والآن لا ارغب فى سماع كلمة واحدة منك تتعلق بهذا الموضوع . بل اننى فى الواقع اصدر لك تعليمات صريحة بعدم التطرق الى هذا الموضوع . اتريد المزيد من القش ؟ .

واستمر العمل فى اصرار ولكنها بدأت تشعر بالتعب وسرعان ما نصحها جبرييل بالرجوع الى منزلها فشكرته جزيل الشكر على كافة جهوده الحميدة واختفت متوارية بين طيات الظلام . واستمر جبرييل فى انجاز العمل كأنه يمر بحلم مريع وتعجب فى حيرة من سر قلب تلك الأنثى الذى جعلها تتحدث معه فى دفء وحرارة وعاطفة فى هذه الليلة على نحو لم يحدث من قبل اثناء حياتها قبل زواجها .

وبينما كان الصباح آخذا فى البزوغ اشتدت

برودة وسرعة الهواء . وفي خلال عشر دقائق انطلقت جميع الرياح المحبوسة في السماء وهبطت الأمطار الغزيرة في حماس شديد وأحس جبرييل بالمطر ينهمر في داخل ملابسه ، وبعد مرور ساعتين انتهى اخيرا من تدعيم آخر كومة .

وهبط الى الأرض مبللا ومرهقا وحزينا ومكتئبا ولكنه شعر بالارتياح لنجاحه في مهمته . وفي تلك اللحظة ترامت الى سمعه اصوات خافتة قادمة من الشونة ثم خرجت من الباب هياكل تسير في ترنح وبدت عليها مشاعر الخجل باستثناء شخص واحد كان يرتدي سترة حمراء اللون . وكان يسير وهو يضع يديه في جيبه ويترنم بالصفير بفمه .

بينما كان جبرييل عائدا الى منزله تقابل مع المزارع بولدوود فتبادلا التحية .

وقال جبرييل : لقد ظللت أعمل طوال الليل لكي اغطي اكوام القمح عندنا بالقش للحماية من

المطر . هل اكوام القمح الخاصة بك ياسيدي محمية وفي أمان ؟

ــ « اوه . نعم » .

ولكن بولدوود اضاف بعد لحظات من الصمت : عما كنت تتساءل يا اوك ؟ .

ــ هل أكوام القمح الخاصة بك مغطاة بالفعل ؟ اذ ينبغي تغطية الأكوام الكبيرة الموجودة في الفناء بأية طريقة !

ــ لا انها ليست مغطاة . ولا كوم واحد منها مغطى . فقد نسيت ان اصدر تعليماتي للحطاب بعمل ذلك .

فقال جبرييل : هذا معناه أن أقل من ١٠٪ من القمح الموجود عندك سيكون صالحا للاستعمال يا سيدي !

وشعر جبرييل بالذهول لأن بولدوود قد «نسىء محصوله من القمح على ذلك النحو . فهو ليس

بالرجل الذى ينسى مثل هذه الأمور الهامه . ولابد أن هذا الرجل بدأ يقاسى من زواج باتشيبا من رجل آخر . ولابد أن معاناته في هذا الصدد أعنف بكثير من معاناة جبرييل .

وقال بولدوود على نحو يوحى بأنه يأتمن جبرييل على حفظ الأسرار « يا اوك » أنت تعرف ان الأمور قد ساءت معى تماما فى الأونة الأخيرة . والناس يقولون أن الآنسة امردين قد فسخت خطوبتها معى . وهذا القول بعيد عن الحقيقة . فهى لم تعدنى بالزواج على الاطـلاق .

ووقف ساكنا ثم التفت فى وحشية نحو جبرييل واستطرد : اوه . يا جبرييل . انى أشعر بالضعف والغبـاء . ولا سـبيل أمامى للهـروب من البؤس المحدق بى ؟ .. لقد كان لدى بعض الاعتقاد الواهى فى رحمة الله الى ان فقدت تلك المرأة . والآن أشعر أنه من الأفضل لى أن أموت . فاما الآن أفضل الموت على الحياة ؟

الفصل الثامن والعشرون

يقع تل يالبرى على الطريق ما بين كاستربردج ووددبرى .. والفلاحون العائدون من السوق عادة ما ينزلون من عرباتهم ، ويسيرون بجانب خيولهم على الطريق الصاعد الطويل .

وفى أحد أيام السبت من شهر أكتوبر كانت عـربة باتشـيبا ترجع صـاعدة فوق ذلك الطريق المنحدر ، وكانت تجلس فى مقعد المسافرين بالعربة بينما كان تروى يسير على الأرض بجوارها مرتديا حلة غريبة الشكل .

وكان يقول : لولا حدوث ذلك المطر لكنت قد ربحت مبلغا كبيرا من المال . فأنا لم يحدث في حياتي ان شاهدت مثل ذلك اليوم العاصف الوحشي . فالخيول والراكبون والناس كانت الرياح تتقاذفهم هنا وهناك مثل السفن التائهة في عرض البحر ، والرأي الذي سرت عليه في مراهناتي كان عديم الفائدة تماما.

فقالت باتشيبا في حزن : أنت خسرت ما يزيد على مائة جنيه خلال هذا الشهر بسبب دخولك في مراهنات سباق الخيول الشنيعة . أوه يا فرانك انه لمن القسوة أن تضيع نقودي على هذا النحو . ولسوف نضطر الى ترك المزرعة . وتلك ستكون النهاية . هل يمكنك ان تعدني بعدم الذهاب الى سباق الخيول في اللقاء التالي ؟

ـ لماذا ؟ .. انني افكر في اصطحابك معي . ولكن حضورك لن يغير من الأمر شيئا . لأن مراهناتي قد حددت كلها بالفعل . لقد فقدت كل الحماس

يا باتشيبا .. ولو كنت قد عرفت ان لك قلبا جبانا يستتر وراء شجاعتك لما كنت أبدا ... ...

واضاء وميض من الغضب عيني باتشيبا السوداوين لدى سماعها ذلك التعليق وتلك العبارة التي لم تكتمل . ولكن في تلك اللحظة ظهرت امرأة فوق قمة التل . ورغم أن الأشجار العالية بأوراقها واغصانها المتدلية قد حجبت الضوء الخافت المتلاشي . الا ان باتشيبا تمكنت من مشاهدة ملابسها المتواضعة التي تدل على فقرها الشديد والحزن الشديد الذي يطل من وجهها عندما اقتربت منهما .

ـ لو سمحت يا سيدي هل تعرف الوقت الذي تغلق فيه اصلاحية الأحداث أبوابها ليلا ؟

واحدثت نبرات صوتها صدمة في كيان تروى الا أنه استعاد توازنه وتحكم في مشاعره لكي يمنع نفسه من الاستدارة نحوها . وقال لها في بطء : لا أعرف !

وما ان سمعت المرأة صوته حتى نظرت بسرعة

لأعلى وتفحصت جانب وجهه وعرفتــه تماما ، فهو نفس الجندى ولكنه يرتدى ملابس الفلاحين . وظهرت تعبيرات على وجهها تجمع ما بين البهجة والآلام الهائلة المريرة وصرخت صرخة هائلة وسـقطت على الأرض مغشيا عليها .

فصاحت باتشيبا : يالها من انسانة مسكينة ! وبدأت تستعد للنزول من العربة .

فقال تروى فى وحشية : عليك بالبقاء فى مكانك وحدى بالك من الحصان !

واستطرد صائحـا عندما ترددت باتشـيبا فى تنفيذ أوامره : واصعدى بالعربة فوق الطريق المنحدر .. وأنا سأتدبر أمر هذه السيدة !

وبعد أن سارت باتشيبا بالعربة استدار نحو امرأة وقال بصوت غريب وهو يرفعها من الأرض .

ـ كيف تمكنت بحق السماء من المجيء الى

هنا ؟ لقد اعتقدت أنك ذهبت الى مكان بعيد للغاية أو انتقلت الى رحمة الله . ولماذا لم تكتبى لى رسائل ؟

ـ كنت أخاف من ارسال الخطابات .

ـ هل لديك أية نقود ؟ لا . هاهو كل المبلغ الموجود معى الآن .. وكنت أتمنى أن يكون معى مبلغ كبير لكى أقدمه لك .. اننى فى عجلة من أمرى الآن . استمعى الى . هل ستذهبين الى الاصلاحية الأحدث الموجودة فى كاستربردج ؟ اقضى الليلة هناك وامكثى هناك غدا . وفى صباح يوم الاثنين وفى تمام الساعة العاشرة قابلينى فوق كوبرى جراى الموجـود خارج المدينة مباشرة . ولسوف أحضر لك كل النقود التى أستطيع الحصول عليها . فأنا لن اتخلى عنك يا فانى .. لن أتركك تعانين من العوز والفقر وأنا أعدك بذلك . ولسوف أستأجر لك مسكنا فى مكان ما . ومع السلامة الآن الى أن نلتقى فى الموعد المحدد . انه لمن القسوة أن اتخلى عنك .. ولكن مع السلامة !

وعندما أسرع فى مشـيه ولحق بباتشيبا عند

قبلة التل نظرت بحدة فى وجهه وتساءلت هل تعرف من كانت هذه المرأة ؟

فقال وهو ينظر فى عينيها فى جرأة : نعم اعرفها ولكنها لا تمثل شيئا بالنسبة لنا • فانا اعرفها معرفة سطحية •• اعرفها عندما يقع بصرى عليها •

ـ ما اسمها ؟ أعتقد أنك تعرف اسمها ؟

ـ لا يهمنى ما تعتقدينه • يمكنك •••

واستكمل المبارزة بأن صفع بضربة سوط حادة على ظهر الحصان مما جعله يقفز مجتاة للأمام • ثم ساد الصمت بينهما •

وفى تلك الأثناء استمرت المرأة فى سيرها الى ان اصبحت لا تقوى على المسير على الاطلاق • فقامت بفتح بوابة ودخلت فى احدى كومات القش واستغرقت فى نوم عميق • وعندما استيقظت أدركت ان الليل حالك السواد حيث لا يوجد اى ضوء للقمر او النجوم •

الا انها شاهدت اضواء كاستربردج تسطع من خفوت على مسافة بعيدة •

فقالت لنفسها : آمل ان اتمكن من الوصول الى هناك • اذ يجب على أن اغادره يوم الاثنين • فليساعدنى الله ! •• فلربما أكون مدفونة فى قبرى قبل حلول ذلك الموعد !

وراحت تكافح وتناضل • ولم يكن من المتوقع لها أن تصل الى المدينة على الاطلاق لولا ظهور كلب كبير ضال انضم اليها فى المسير ، وشجعها على مواصلة السير • وكان يلعق يدها ويقودها فى طريقها لنحو المدينة • وعندما خرت واقعة على الأرض بسبب الاعياء الشديد ، راح الكلب يجذب ويشد رداءها • واخيرا شاهدت الجدران الحجرية للاصلاحية الأحداث تبرغ من بين طيات الظلام الموجودة أمامها • وبجهود خارقة وصلت الى باب الاصلاحية وجذبت حبل الجرس • ثم سقطت على وجهها فوق الأرض !

وعندما وصلت الساعة الى حوالى السادسة

عندها فتح الباب وظهر رجل . فشاهد كومة من الملابس تتحرك فى كفاح مرير . فرجع لاحضار مصباح وعاد ومعه امرأتان . وقاموا برفع المرأة من فوق الأرض وساعدوها وادخلوها من باب الاصلاحية .

وتساءلت احدى المرأتين : كيف تمكنت هى من الوصول الى هنا ؟

فردت فانى بصوت ضعيف للغاية : كان هناك كلب .. ولقد ساعدنى هذا الكلب . الى اين ذهب الكلب ؟

فقال الرجل : لقد طردته بان القيت عليه حجرا .

الفصل التاسع والعشرون

وفى اليوم التالى لم يحدث باتشيبا وتروى مع بعضهما البعض الا بقدر ضئيل للغاية . ولكنه طلب منها فى مساء ذلك اليوم أن تعطيه عشرين جنيها .

فردت عليه فى حزن : عشرون جنيها ؟ .. من اجل سباق الخيول الذى سيجرى غدا ؟ .. يا فرانك . لقد قلت لى منذ اسابيع قليلة انتى افضل عندك من جميع مباهجك وهواياتك وملذاتك الخاصة .. الن تتخلى عن السباق فى هذه المرة ؟ .. من أجل ؟ ..

أترك يا فرانك هـــذه المراهنات ، ووافق على رأى بمطالبك الغامضة يا فرانك !

وكانت تبدى له أقصى ما لديهـــا من جوانب الرقة ، فقرر أن يريح ذهنها بشأن هذه النقطة فقال لهـا : انى لا اريد هذه النقود من أجل المراهنة !

ـ اذن لأى شيء تريد هذه النقود ؟ فانت تقلقنى بمطالبك الغامضة يا فرانك !

فتردد تروى ، ولم يكن يرغب فى ذكر الحقيقة لها .

فقال لها : انك تسيئين الى بسبب هذه الشكوك التى تبديتها !

فقال فى ابتسامة باهتة : لكى ادفع النقود يكون لدى الحق فى توجيه بعض الأسئلة القليلة .. ولكننى لدى هنا عشرون جنيهـا من أجل النفقات على شئون المنزل . فاذا كان الأمر يستلزم ضرورة حصولك على هذا المبلغ فلا مانع عندى .

ـ شكرا جزيلا لك ، وسوف أخرج من المنزل مبكرا فى صـــباح الغد وقبـل مجيئك لتناول طعام الافطار .

ونظر الى ساعته اثنـــاء الكـلام ، ثم فتح علبة الساعة بدون تفكير ، وعندئذ شاهدت باتشيبا كتلة صغيرة من الشعر مخبأة فى داخل العلبة .

فتساءلت فى دهشة وحب استطلاع : أوه . فرانك ! شعر من هذا ؟

وهنا أغلق تروى علبة الساعة على الفور وقال :
ـ انه شعرك بالطبع !

فصاحت باتشيبا : يا لها من كذبة ! يا فرانك انه شعر أصفر اللون ! .. شعر من هذا ؟ . أود أن أعرف الحقيقة !

ـ حسنا .. سأقول لك الحقيقة . انه شعر فتاة شابة كنت على وشك الزواج منها قبـل ان اتقابل معك . ولن أقول لك اسمها .

ـ وهل هى تزوجت ؟

ـ لا .

ـ وهل هى جميلة ؟ .. انها لا يمكن أن تكون جميلة اذا كان لها شعر ذو لون رهيب على ذلك النحو . ينبغى عليك ان تحرق ذلك الشعر يا مرانك . هل ستحرقه ؟

فقال تروى : ماذا ؟ انه شعر جميل . لا تكونى غيورة الى هذه الدرجة يا باتشيبا . لقد كنت تدركين أبعاد اشياء لزوجيه . وما كان ينبغى عليك ان تدخلى فى الحياة الزوجية اذا كنت تخافين من مجرد اكتشاف شىء فجائى مثل هذا الشعر . فهناك اعتبارات تجىء فى المرتبة الاولى . وتفوق فى اهميتها مشاعرى نحوك . فان لدى ديون شرف ناجمة عن لعب القمار .. ولدى ارتباطات لا تعرفين عنها شيئا . فاذا كنت تاسفين الآن على الزواج منى فانا أشعر كذلك بالاسف على هذا الزواج !!

فدبت القشعريرة فى كيان باتشيبا ووضعت يدها على ذراعه بصوت يجمع بين البؤس والاقتناع . انى اشعر بالأسف اذا كنت لا تحبنى أكثر من أية امرأة أخرى فى العالم باسره . انت لا تريد أن تحرق تلك الخصلة من الشعر . وهذا معناه أنك ما زلت معجبا بصاحبة ذلك الشعر الجميل . نعم انه شعر جميل .. واجمل من شعرى انا . حسنا . لا دخل لى لكونى قبيحة المنظر . ما باليد حيلة .. ويجب عليك أن تحبها أكثر منى اذا كنت ترغب فى ذلك .

وتوقفت للحظات ثم استطردت متسائلة : ومن هى تلك المرأة التى قابلناها على الطريق ؟ .. فذلك الشعر هو شعرها . أليس كذلك ؟

ـ نعم . وانت الآن تعرفين السر الخاص بى . وآمل ان تكونى الآن مستريحة وراضية !

فقالت وهى تنظر فى وجهه بدون خوف : وما هى تلك الارتباطات والروابط التى ذكرتها ؟ .. قل لى الحقيقة الكاملة يا مرانك .. انا لست مغفلة أو غبية رغم اننى امرأة . هيا وتعامل معى فى صدق وامانة !

أريد العدالة المجردة وذلك هو كل ما اريده فانا فى يوم ما كنت اريد ان اكون زوجة لرجل يعاملنى كأنى ملكة متوجة • والآن أصبحت قانعة بأى شئ باستثناء ممارسة القسوة على • نعم فباتشيبا المتفاخرة القوية الشخصية قد هبطت بشخصيتها الى هذا الحد !

فقال تروى بصــــوت غاضب : بحق الســماء لا تتكلمى معى بمثل هذا العنف والوحشية !
ثم نهض واقفا وغادر الحجرة ••

وفى صباح اليوم التالى استيقظت باتشيبا من النوم مبكرة أكثر من الوقت الذى اعتادت أن تتفقد فيه المزرعة وهى ممتطية حصانها • وكان تروى قد انطلق ذاهبا الى كاستربردج • وتناولت هى طعــام الافطار وحدها • وبعدئذ أخذت تتجول وقد اعتزمت أن تتنزه سيرا على الأقــدام • وفى تلك اللحظة ظهر جــوزيف بورجراس عند البوابة حاملا معه سلة مليئة بالتفاح وعندما شاهدها وضع سلة التفاح على الأرض **وقال لها فى حزن عبر البوابة :**

ـ لن تشاهدى فانى روبين مرة أخرى يا سيدتى• فهى ترقد الآن ميتة فى اصـــــلاحية الأحـــداث فى كاستربردج !

ـ فانى قد ماتت ؟ مستحيل ! وما هو سبب وفاتها ؟

ـ لا أدرى •• فهى طوال حياتها كانت فتاة ضعيفة البنيان • وقد دخلت اصـــلاحية الأحداث فى صباح لأمس • وكانت مريضة للغاية • وكانت فى حالة من الاعياء الشديد حتى أنها ماتت فى مساء نفس اليوم • وهم يقولون أنها انطفأت مثل الشمعة • وهى وفقا للقانون تنتــمى للأبرشية الخاصـــة بنا ولذلك سيقوم المستر بولدوود بارسال عربة لاحضار جثمانها ولسوف يتم دفنها فى فناء كنيستنا فى الساعة الخامسة !

ـ لن أدع المستر بولدوود يقوم بمثل هـــذه الاجراءات • اذهب اليـــه وقل له ان السيدة زوجة تروى ستقوم بمهمة احضار جثمان الخادمة التى كانت تعمل فى خـــدمة أسرتهـــا • ثم جهز عربتى الجديدة

الصغيرة ذات الجسم الأزرق والعجلات الحمراء ، وادعى نعشها في تلك العربة ، وخذ معك مجموعات كبيرة من الورد والزهور لكي توضع على نعشها وعلى قبرها .

- سأفعل ذلك يا سيدتي !

وقالت بعد تفكير عميق : يا ليدى قد علمت في وقت مبكر بدخول فاني اصلاحية الأحداث . منذ متى دخلت الاصلاحية ؟

- منذ الأمس فقط . وهم يقولون أنها عندما هربت من هنا وتركتنا ذهبت لتعيش بالقرب من ثكنات خاصة بالجيش . وبعد ذلك التحقت بالعمل في ميلشستر . ومن المعتقد أنها سارت على طول المسافة من هناك الى الاصلاحية .

وهنا شحب وجه باتشيبا فجأة . ثم رجعت الى منزلها ونادت على ليدى : لقد كان حبيب فاني جنديا . أليس كذلك ؟

- نعم . لقد كان جنديا في سلاح الفرسان الملكي

الحادي عشر مع المستر تروى . وكان المستر تروى يعرفه جيدا . اذ قال انه كان يحبه أكثر من اى رجل آخر في الجيش . بل وقال انه كان هناك تشابه كبير بينه وبين ذلك الشاب الآخر لدرجة ان ...

فقاطعتها باتشيبا وقد انتابها ذلك الضيق العصبي الذي ينجم عن الاعياء والشك :

- كفى عن الكلام بحق السماء يا ليدى !

الفصل الثلاثون

وعندما دقت الساعة الثالثة وصل جوزيف بورجراس الى اصلاحية الأحداث ودق الجرس . ففتح الباب . وقام رجلان بوضع النعش الخشبي البسيط في العربة . ثم قام أحدهما بكتابة اسم فاني على النعش بالاضافة الى كتابة بعض الكلمات الأخرى بقطعة من الطباشير . ونشر جوزيف أزهاره فوق النعش وانطلق على الطريق عائدا الى وذربرى .

وقبل أن يقطع نصف المسافة فى طريق العودة الى وذربرى ظهرت سحب كثيفة من الضباب البحرى وراحت تتدحرج فوق التلال . وما أن وصل الى غابة

يالبرى حتى أطبق عليه الضباب من كل جانب تماما . وكان الصمت المخيف المريع يرفرف فوق كل شيء . تمنى لو كان معه رفيق .. حتى ولو كان ذلك الرفيق مجرد طفل او كلب . ولكن حانة فندق رأس الغراب كانت تقع على مسافة قريبة منه الى ما وراء الغابة . وسرعان ما شاهد لافتة الحانة ، فأوقف حصانه ودخل . وحيته الوجوه المشوشة لكل من جان كوجان ومارك كلارك .

فقال : أريد تناول مجرد مشروب واحد وبعدئذ سأواصل المسير . فقد أحضرت معى فاني روبين المسكينة في العربة الموجودة بالخارج ، ويتعين على أن أصل الى بوابات فناء الكنيسة في تمام الساعة الخامسة لا ريباً !

فقال مارك كلارك : هذا هو ما سمعناه . ولكن فيما العجلة ؟ .. يمكنك أن تجلس وتستريح وتشرب ما تريده بدون تسرع .

فاقتنع جوزيف بذلك القول وجلس مطمئنا .

وبعد أن تناول مشروبه الثاني قال : يصعب علي ان اواصل السحر الآن !

ولكنه اقنع بالبقاء لتناول مشروب ثالث . وبعد ان فرغ من تناول مشروبه الثالث نهض واقفا وقال . سيكون كاهن الكنيسة واقفا في انتظاري .

ولكن جان كوجان قال : يا جوزيف لا تشعر بالتعاسة عن هذا التحول . فالكاهن لن يتضايق بسبب انتظاره اياك . فهو رجل شفوق القلب . اجلس يا رجل !

فجلس جوزيف . وكلما ظل جالسا لفترة أطول احس اقل بتأنيب الضمير .

وتوالت الثواني والدقائق . وتعمقت الظلال . وعندما دقت ساعة الحانة معلنة الساعة السادسة سمعوا وقع اقدام مسرعة بالخارج ، ثم دخل جبرييل اوك الى الحانة . وقال جبرييل في حدة ووحشية : انني اشعر بالخجل بسبب تصرفاتك يا جوزيف

بورجراس . وأنت يا جان وأنت يا مارك . كان ينبغي عليكما أن تقدرا الموقف بشكل أفضل !

الا أنه لاحظ على الفور أن كلامه لم يؤد الى النتيجة المرجوة حيث كان الرجال الثلاثة في حالة لا تسمح لهم بقيادة العربة .

وعندما وصل جبرييل الى ودربري مع الجثمان ، كانت الدنيا قد أظلمت تماما فقرر الكاهن تأجيل مراسم الدفن الى اليوم التالي . وكانت باتشيبا تريد في بادئ الأمر ترك الجثمان في الكنيسة الا أنها غيرت رأيها ، وامرت بنقل الجثمان الى داخل المنزل . فقام جبرييل بمساعدة ثلاثة من الرجال بوضع الجثمان على منضدة في غرفة الطعام .

وعندما انصرف الرجال الثلاثة ظل هو واقفا هناك في تردد وراح ينظر الى الكلمات المكتوبة بالطباشير على غطاء النعش « فاني روبين وطفل » . فقام بمحاولة أخيرة لانقاذ باتشيبا من التعرض للأحزان

والآلام المورية حيث راح يمسح بمديله الكئبات وكلمة طفل • ثم غادر المنزل فى هدوء •

وفى وقت متأخر من ذلك المساء دخلت ليدى الى غرفة الجلوس وتساءلت : هل تريدين منى أن أظل منتظرة لحين عودة سيدى ؟ فانا لست خائفة من جثمان فانى • فهى كانت تشبه الطفلة حتى آن شبحها لن يسبب المتاعب لأى شخص • وانا واثقة من ذلك !

فقال باتشيبا : أوه • لا داعى لذلك • اذهبى أنت للنوم يا ليدى • ولسوف أظل مستيقظة حتى الساعة الثانية عشر فى انتظار المستر بروى • فاذا لم يصل بحلول الساعة الثانيــة عشر سأذهب للفراش للنوم •

ثم اضافت فى همس ممزوج بالاضطراب : هل سمعت أى كلام غريب عن فانى ؟

وما ان تساءلت بهذا السؤال حتى انفجرت باكية بالدموع •

فقالت ليدى وهى تنظر اليها فى دهشة : لا •• ولاكلمة واحدة • وما الذى يجعلك تبكين على هــذا النحو ؟ • هل هناك أى شئ يؤذى مشاعرك ؟

ولكن باتشيبا لم توضح السبب الذى ادى الى انفجارهـا بالبكاء • فذهبت ليدى الى سريرها • ثم عادت مرة اخــرى بعــد عشر دقائق وقالت على وجــه السرعة •

ــ لقد سمعت ماريان كلاما عجيبا • انها قصه حسيسة تفيد ان •••

ثم انخفضــت فى همس بباقى العبــارة فى أذن سيدتهــا • وعندئذ ارتعدت باتشيبا من رأسهــا الى اخمص قدميها وصاحت : لا أصدق هذا الكلام ! ولا يوجد سوى اسم واحد مكتوب على غطاء النعش •

ثم استدارت بمحض وجهها تغادر ليدى الغرفة فى هدوء شديد •

وراحت باتشيبا تمعن النظر فى النيران لبعض

الوقت . **ثم قالت فجأة بصوت مرتفع** : أوه يا فاني يا ليتك قد تكلمت معي واوصيت لي بسرك ! لو كان باستطاعتي النظر اليك لدقيقة واحدة قصيرة لعرفت كل شيء !

ومرت لحظات قليلة ثم اضافت في بطء : سأفعل ذلك .

ثم أحضرت مفكا وسرعان ما اصبحت واقفة بجوار النعش المكشوف **فقالت لنفسها** : كان من الأفضل معرفة أسوأ الأمور . وأنا أعرف الحقيقة الآن !

وبينما كانت واقفة هنالك ارتعد جسدها وغطى الضباب على عينيها وشعرت وكأن مطرقة تدق ذهنها **وقالت** : أوه . انني أكرهها ! .. ومع كل فانه من الخسة والنذالة ان اكرهها . لو كانت قد عاشت لكنت قد اصبحت غاضبة منها وقاسية عليها . ولكني اذا عاملت امرأة ميتة على هذا النحو فكأنني أعاقب نفسي . يا الهي . الرحمة يا الهي !

وحدث اضطراب عقلي شديد لباتشيبا حتى انها راحت تبحث عن وسيلة للهرب . ثم ركعت بجوار النعش وظلت الحجرة ساكنة في صمت لبعض الوقت . وبعد ذلك نهضت واقفة ثم راحت تنثر الورد حول رأس الفتاة الميتة كدليل على مشاعر العفو والتسامح . وفقدت الاحساس بالزمان والمكان والاحساس بما كانت تفعله . وأخيرا فتح الباب الأمامي واغلق في صوت مرتفع ، فعاد اليها الوعي والادراك . وسمعت وقع اقدام ، ثم ظهر زوجها في المدخل وحملق في دهشة في المنظر الماثل أمامه . ولم يخطر على باله مطلقا موضوع فاني . وخطر على ذهنه لأول وهلة ان شخصا ما بالمنزل قد مات .

فقال وقد بدا عليه انه لا يعرف اية اخبار : حسن .. ماذا حدث . استحلفك بالله ان تقولي لي من ذا الذي مات ؟

فقالت باتشيبا بسرعة : يجب أن اذهب الآن ! وحاولت أن تدفعه لتمر من جواره ولكنه امسك

يدها والقرب من النعش وهو ما زال ممسكا يدها . فشاهد شمعة تلقي بالضوء الخافت على الوجهين الباردين لامرأة وطفلها . فامعن النظر وترك يد زوجته ووقف ساكنا دون حراك . ثم انحنى في بطء فوق جسد فاني دوبين وقبلها في رفق كما لو كان يقبل طفلة نائمة !

وما ان شاهدت باتشيبا وسمعت هذا المشهد حتى فقدت السيطرة على نفسها فالقت بذراعيها حول رقبته **وصاحت في جنون** : لا . لا تقبلها ! اوه يا فرانك . لا أستطيع تحمل ذلك ! انني احبك أكثر من حبها لك ! قبلني أنا أيضا يا فرانك . قبلني ! لسوف تقبلني بالتأكيد يا فرانك . قبلني أنا أيضا !

وفك تروى ذراعيها من حول رقبته ونظر اليها في دهشة بالغة . **وقال وهو يدفعها بعيدا عنه** : لن اقبلك . لقد كنت رجلا سيئا أسود القلب ولكن هذه المرأة تهمني أكثر منك ، حتى وهي غارقة في موتها ، وهي أفضل منك في الماضي والحاضر والمستقبل ..

ولو لم اقع فريسة للشيطان الذي اغواني عندما شاهدت وجهك لكنت قد تزوجتها . وبالتالي قد تزوجتها . ولكن فات أوان ذلك الآن . وأنا استحق الحرق في جهنم على جريمتي هذه !

ثم استدار نحو فاني **وقال لها** : ولا يهمك يا اعز حبيبة لدي . فانت زوجتي الحقيقية أمام الله !

وما ان سمعت باتشيبا ذلك الكلام حتى صدرت عن شفتيها صرخة طويلة بحتة في يأس لا نهائي **وهي تقول له** : اذا كانت هي على ذلك النحو فمن أكون أنا ؟

فقال تروى في قسوة : أنت لا شيء بالنسبة لي .. لا شيء بالمرة . فالمراسم التي تتم أمام القسيس لا تعقد زواجا . وأنا لست زوجك من الناحية الأخلاقية والمعنوية !

وعندئذ شعرت باتشيبا أن لديها الرغبة الملحة في الهروب منه ومن كلماته . فاستدارت نحو الباب وخرجت الى غياهب الليل الحالك .

وسارت لبعض الوقت في الحارة المظلمة الى أن

وصلت الى بوابة تؤدى الى غابه صغيرة • فدخلت الى الغابة وعثرت على مكان مختفى بين بعض الشجيرات فهبطت على الأرض واغلقت عينيها •

وكان أول صوت تسمعه لدى استيقاظها هو تغريد طائر واقف فوق غصن أعلاها • ثم ترامى اليها من الطريق صوت اغنية مرحه يغنى بها صبى يقود خيل الحراثة • ثم سمعت بعد ذلك وقع أقدام ثقيلة • وعندما نظرت من خلال الشجيرات شاهدت اثنين من خيولها يتوقفان لشرب الماء من بركة ماء عند جانب الطريق •

كانت تباشير الصباح قد بدأت تظهر لنوها وكان ضباب الصباح معلقا فوق الحقول •

وظهرت خطوات اخرى • وكان السائر على الطريق فى هذه المرة تلميذا قد علق فى كتفه حقيبة غدائه وامسك فى يده كتابا • ومر هو الآخر فى طريقه الى مدرسته • ثم ظهرت امرأه من على مسافة فشعرت بانشبا بالارتياح عندما تبين لها بعد لحظات ان تلك

المرأة هى ليدى سموليرى وخرجت من الغابة لالقاء التحيه عليها •

وقالت أو حاولت ان تقول حيث قد فقدت صوتها بسبب الاستلقاء فى هواء الليل المشبع بالرطوبة • اوه ، ليدى • لا توجهى لى ايه اسئلة • اريد منك فقط ان تخبرينى عن شيئين هل زوجى موجود الآن بالمنزل ؟ •• وهل هم قد نقلوا جثمان فانى لتدفن فى الكنيسة ؟

ـ لقد خرج المستر تروى من المنزل قبل خروجى أنا مباشرة وهم على وشك نقل جثمان فانى خلال فترة قصيرة • ولقد أخبرت جميع الناس أنك لست على ما يرام • وهم يعتقدون أنك موجودة فى غرفة نومك بالدور العلوى • اوه يا سيدتى انى لمسرورة للغاية لاننى عثرت عليك !

ـ شكرا لك يا ليدى • لسوف نعود الآن الى المنزل فى هدوء عن طريق الشارع الخلفى • ولا أستطيع ان أحكى لك ما حدث بينى وبين زوجى • ولكنى

يا ليدى أقول لك شيئا هاما : وهو انك اذا تزوجت في أي وقت من الأوقات .. وآمل الا تتزوجي على الاطلاق .. ستجدين نفسك في موقف مخيف ومريع . وعندئذ لا ينبغي عليك ان تتلذذي بالفرار والهرب . فالنساء اللاتي ليس لديهن اعتزاز بالنفس هن فقط اللاتي يلجأن للهرب . عليك فقط بالبقاء في المكان الذي تقيمين فيه وعرضي نفسك لتقطيع اربا اربا . وذلك هو ما سافعله .

الفصل الحادى والثلاثون

واين كان الرقيب تروى في تلك الأثناء ؟

عندما غادرت زوجته المنزل في منتصف الليل عكف أولا على تركيب غطاء النعش ، ثم ألقى بنفسه على سريره بدون أن يخلع ملابسه وراح يسترجع في ذهنه سلسلة الأحداث في ذلك اليوم حيث قرر ان يظل مستيقظا حتى الصباح .

لقد انطلق بالعربة الى كاستربرج ومعه العشرون جنيها التي اخذها من باثشيبا بالاضافة الى سبعة جنيهات أخرى كان قد ضمها الى العشرين جنيها .

وكان قد وصل الى كوبرى سراى فى الساعة العاشرة الا خمس دقائق لكي يقابل فاني في الموعد المحدد معها • وكان مبلغ الـ ٢٧ جنيها موجودا فى جيبه •

ولكن فاني لم تحضر فى الموعد المتفق عليه • فظل واقفا لمدة نصف ساعة أخرى ولكنها لم تحضر فخطر على ذهنه أن هذه هي ثاني مرة تعطيه فيها موعدا ولا تحضر في الوقت المحدد رغم اهمية الموعد معه • فاقسم فى غضب الا يرتبط معها فى أى موعد آخر بعد ذلك ، وقفز عائدا الى عربته ، وانطلق متجها الى سباق بادماوث للخيول •

ولكن ضميره استيقظ واقتنع بضرورة عدم انفاق نقوده هناك • الا أن الدنيا كانت قد اظلمت قبل مغادرته بادماوث • وفى طريق عودته الى منزله ، خطر على ذهنه لأول مرة أن المرض ربما هو الذى منع فاني من الحضور اليه في الموعد المحدد بينهما • وبدأ يشعر بالأسف والحزن لأنه لم يسأل ويتحرى عنها فى كاستربردج • الا أنه لم يكن مهيئا او مستعدا على

الاطلاق لتلقى الصدمة الرهيبة التى كانت تنتظره لدى دخوله من باب منزله •

وما ان ظهرت الملامح الأولى للصباح حتى خرج من المنزل وذهب الى فناء الكنيسة وشاهد القبر الذى حفر من أجل فاني • وبعدئذ ذهب بسرعة الى كاستربردج سيرا على الأقدام واصدر تعليماته باعداد بلاطة الضريح (وهى الشاهد الذى يوضع على الضريح) لكي توضع على قبرها فى نفس ذلك اليوم وقد بلغ ثمن تلك البلاطة سبعة وعشرين جنيها •

وفى تلك الليلة عاد الى فناء الكنيسة متسللا ومختفيا لكيلا يراه أحد نثر الزهور حول بلاطة الضريح التى كانت قد نقشت عليها هذه الكلمات : هذا الشاهد قد وضع على هذا القبر بمعرفة فرانسيس تروى تعبيرا عن حبه الأبدى للفانى روبين وتخليدا لذكراها العطرة • ثم انسل خارجا من فناء الكنيسة دون أن يراه أحد وانطلق سيرا على الأقدام سالكا الطريق المؤدى الى البحر •

وكانت هناك عوامل كثيرة دفعته الى ترك ودربرى منها اشمئزازه من الحياة الريفية والذكريات الحزينة المترتبة على موت نانى والرغبة فى الهرب من زوجته . وراح يتجول الى أن ظهر أمامه شاطىء البحر فى نهاية الأمر . وبدأ ينزل على الصخور المنحدرة نحوها الى خليج صغير محمى من الأمواج . وكان قد وضع فى خطته أن يستريح ويستحم فى ماء البحر قبل الذهاب الى أى مكان أبعد من ذلك . ثم خلع ملابسه وغطس فى الماء .

ولكن المياه فى تلك البقعة كانت هادئة للغاية بحيث لا تغرى السباح على العوم : فراح يسبح خارجا من فم الخليج الى المياه المتلاطمة . ومن سوء حظه كان هناك تيار قوى ، فجرفه التيار الى اليسار ثم ألقى به الى دائرة واسعة فى عرض البحر .

وهنا فقط تذكر ان ذلك المكان له سمعة سيئة حيث لقى الكثير من السباحين حتفهم هناك . ولم

يشاهد فيما حوله أى زورق . وخارت قواه تماما بسبب محاولاته اليائسة للرجوع نحو الشاطىء .

ولكنه شاهد أخيرا زورقا صغيرا يجدف فيه العديد من البحارة الشبان ، فراح يلوح لهم ويصيح . ومن حسن حظه أن الشمس الغاربة قد أظهرت بوضوح جسده الأبيض المتلاطم فوق المياه الداكنة فشاهده الرجال على الفور . فأخذوا يجدفون فى اتجاهه وفى خلال خمس دقائق ابتداء من صيحته الأولى كان هناك اثنان من البحارة يجذبونه ليدفعوا به الى داخل زورقهم .

وكان هؤلاء البحارة يمثلون جزءا من طاقم سفينة تجارية وكانوا يجمعون المئونة اللازمة لهم . فأعطوه بعض ما عندهم من ملابس . وقرروا انزاله على الشاطىء فى الصباح ثم استأنفوا تجديفهم عبر الخليج فى اتجاه سفينتهم .

وامتد غيابه من الساعات الى الأيام فشعرت باتشيبا بالدهشة والارتياح فى آن واحد . الا أن

شعورها بالارتياح لم يدم طويلا . وفي أول يوم سبت يحل عقب اختفائه دهمت باتشيبا مفردها الى كاستربردج . وبينما كانت تخترق الجماهير المحتشدة خارج السوق ، سمعت شخصا غريبا يقول :

ــ انني أبحث عن السيدة زوجة تروى . هل هي الموجودة هناك ؟ لدى أنباء حزينة أريد أن أطلعها عليها . لقد غرق زوجها في الماء ! .

فصاحت لاهثة الأنفـــاس : لا . ليس هـــذا صحيحا .

وبعدئذ لم تقل ولم تسمع أي كـلام آخر . فقد تحطم ضـبط النفس الذي تحلت به على مـدى الأيام القليلة الماضية . وأظلمت الدنيا في عينيها وسقطت متهاوية بدون أن ترتمي على الأرض تمـاما ، حيث تقدم رجل حزين الوجه بسرعة نحوها ، وأمسك بها قبل أن تسقط تماما على الأرض . وكان ذلك الرجل هو بولدوود .

ونظر بولدوود نحو الرجل الغريب مستفسرا منه

حيث كان ذلك الرجل يقف في تلك الآونة بجواره .

فقال الرجل : لقد غرق زوجهـا خـلال هـذا الأسبوع أثناء استحمامه في خليج لولويند . فقد عثر رجل من حرس السواحل على ملابسه وأحضر الملابس الى بادماوث بالأمس !

وأضاءت نيران غريبة عيني بولدوود واحمر وجهه بالاثارة . وساعدها على النهوض من فوق الأرض ونقلها الى حانة جيوش الملك حيث وضعها في رفق في غرفة خاصة . وهناك فتحت عينيها وقالت في تمتمة :

ــ أريد الذهاب الى منزلي !

وغادر بولدوود الغرفة ووقف في الطرقة ليسترد أنفاسـه . فالتجربة كانت هائلة للغــايه بحيث لم يتمكن من استيعابها . لقد احتواها بين ذراعيه على مدى تلك اللحظات القليلة السماوية ! وعثر آنئذ على حصانها وعربتها وعرض عليها أن يجلب لها سائقا لكي يسوق لها العربة أو يسوق هو بنفسه لتوصيلها الى منزلها . ولكنها رفضت تلك المقترحات في رقة وأدب

واصرت على ان تسوق العربة بنفسها كالمعتاد وكأن شيئا لم يحدث على الاطلاق .

وفي وقت متأخر من ذلك المساء جاءت اليها ليدى بينما كانت هي جالسة عند نافذة غرفة نومها . وتساءلت ليدى في شيء من التردد : أينبغي علينا ان نحضر لك بعض الملابس السوداء اللون من أجل ان تظهري احترامك للرجل الميت ؟

فردت باتشيبا بسرعة : لا .. لا .. ليس الآن . فلا داعي لذلك . لأنه لا يزال على قيد الحياة !

فتساءلت ليدى في دهشة : وكيف عرفت ذلك ؟

فقالت باتشيبا : لا اعرف . ولكنهم لم يعثروا عليه . كما انني أتوقع أن يكون مماته مختلفا عن هذه النوعية من الوفاة . واني لواثقة تماما من أنه لا يزال على قيد الحياة !

وظلت باتشيبا واثقة تماما من أنه ما زال حيا حتى حلول يوم الاثنين ، حيث حدث أمران أثارا الشكوك في ذهنها . الأمر الأول كان بمثابة خطاب مرسل من طبيب شاب الى الجريدة المحلية ، فقد ذكر انه كان يمر بجوار الصخرة أثنــاء غروب الشمس فشاهد سباحا يكافح ضد التيار خارج بوغاز خليج لولويند فأدرك على الفور أن ذلك الشخص المسكين ليس امامه سوى فرص ضئيلة للنجاة في النجاة . وما ان وصل الطبيب الى مكان آخر يشاهد منه المنظر بشكل افضل حتى أصبح الظلام سائدا بحيث لم يصبح في مقدوره مشاهدة أي شيء .

والأمر الثاني هو وصول ملابس تروى مع وجود حروف في الجيوب تبين شخصيته . كان من الواضح انه قد خلع ملابسه وهو يعتزم تماما ارتداءها مرة اخرى بعد أن ينتهي من الاستحمام . ولكن فالمرجح انه قد سار وراء فاني الى العالم الآخر بشكل متعمد ولكنه قد لجأ الى هذه الوسيلة لكي تبدو موته وكأنه جاء على هيئة حادثة ، كان هذا أمرا ممكنا . الا أن هذا

لم يحجب عن باتشيبا احتمالا آخر • وهو احتمال اقل شؤما بالنسبة لتروى واكثر شؤما بالنسبة لها •

ولى وقت متاخر من ذلك المساء كانت باتشيبا جالسة بمفردها بجوار النيران • وامسكت ساعة تروى التى اعيدت اليها مع ملابسه ، وفتحت الغطاء الموجود اسفلها مثلما فعل هو ذلك امام ناظريها منذ اسبوع • وهنالك وجدت خصلة الشعر الصفراء الصغيرة التى أشعلت هذا الانفجار الهائل مثل الشرارة •

فقالت لنفسها : كان هو ملكها وكانت هى ملكا له • وأنا لا شىء بالنسبة له أو بالنسبة لها • فلماذا ينبغى على الاحتفاظ بشعرها ؟

وأمسكت كتلة الشعر فى يدها ورفعتها فوق النيران • **ولكنها اضافت قائلة وهى تسحب يدها** : لا • لن أحرق هذا الشعر • سأحتفظ به تذكارا لها • تذكارا لتلك الفتاة المسكينة !

الفصل الثاني والثلاثون

ومر الخريف والشتاء واستمرت باتشيبا فى اشرافها على سير العمل بالمزرعة • ولكنها كانت قد فقدت الاهتمام بهذه الشئون وأخيرا كلفت جبرييل بالعمل كمدير للمزرعة •

وبعد ذلك بفترة قصيرة وجه بولدوود الدعوة لجبرييل لكى يدير له المزرعة السفلية أيضا • فرفضت باتشيبا فى بادىء الأمر ، ولكنها عادت فوافقت على ذلك • وقالت انه يمكن لجبرييل أن يدير المزرعتين بسهولة اذا خصص له حصان لنقله بسرعة بين المزرعتين • وبالطبع تجددت آمال بولدوود فى الزواج

من باتشيبا • وطبقا للقانون لا يعتبر تروى ميتا الا بعد مرور سبع سنوات على اختفائه وبعد ذلك يمكن لباتشيبا الزواج مرة أخرى • وانتظر بولدوود الفرصة لكي يذكر هذه الحقيقة ثم جاءت فرصته ذات يوم من أيام فصل الصيف •

كان أكثر أيام السنة مرحا وانشغالا وضوضاء بسبب مهرجان سوق الأغنام العظيم الذى يعقد فى جرينهيل حيث كانت بقايا المتاريس الدفاعية القديمة تشكل حائطا هائلا حول قمة تل •

وبحلول منتصف الفترة الصباحية كانت آلاف الأغنام الوافدة من جميع أرجاء وسيكس قد تجمعت هناك حيث كان كل قطيع يتجمع فى حظيرة مستقلة تحرسها كلاب الحراسة الخاصة بالقطيع •

وعند الطرف الآخر من المتاريس الدفاعية الترابية ، كان يتم انشاء خيمة كبيرة مفتوحة من أحد الجوانب لكي تضم المقاعد من أجل مشاهدة العرض المسرحى • وبالقرب منها كانت هناك خيمتان

صغيرتان للملابس التى تخص الممثلين • وفى أحد هاتين الخيمتين كان هناك شاب جالس على الأرض فوق العشب وقد ارتدى ملابس التمثيل الخاصة به • وكان ذلك الشاب هو الرقيب تروى !

وكان تروى قد سافر لمسافات بعيدة منذ اختفائه • فالسفينة التى انقذته ورجالها ، كانت بحاجة الى بحار آخر فانضم تروى الى طاقم السفينة التى قامت برحلة الى الولايات المتحدة • فراح ينتقل من مكان لآخر فى أمريكا ويكسب رزقه عن طريق تعليم المهارات التى كان قد اكتسبها فى الجيش • الا أنه بعد شهور قليلة بدأ يكره هذه النوعية من الحياة وظلت فكرة العودة الى مزرعة ودربرى العليا تراوده حيث يمكنه العيش فى مسكن مزود بكل وسائل الراحة •

وأخيرا عاد الى انجلترا بطريق البحر ولكنه ما ان هبط على شاطىء ليفربول فى شهر يوليو حتى بدأت تساوره الشكوك • فباتشيبا لم تكن هى المرأة التى

تماس لى صمت · فكيف يمكنه تحمل العيش معها ؟ واذا فشلت المزرعة فانه سيصبح مسئولا عن الاحتفاظ بها واعاشتها · ويا لها من حياة عسيرة اذا عاش معها فى فقر مدقع بينما شبح مارى الموجود دائما بينهما يثير أعصابه ويلهب كلماتها بالمرارة والحسرة !

ولذلك فقد أجل عودته الى المزرعه وعندما تقابل مع مجموعة من العارفين المتجولين قرر الانضمام اليهم · وفى العرض الذى كان سيقدم فى جريمسل بعد ظهر ذلك اليوم الدافىء من شهر سبتمبر · كان ترونى سيقوم بدور ديك توربين قاطع الطرق الشهير !

وعندما نظر ترونى من خيمته الخاصـــــة بخلع الملابس ، أصيب بالهلع والصدمة عندما شاهد زوجته جالسة مثل الملكة المتوجه فى وسط صفوف المقـاعد الغالية الثمن · ورغم ان ملابس التمثيل التى يرتديها والمكياج الذى يضعه على وجهه يخفيان شخصيته ، الا أن زوجته ســوف تتعرف عليه بالتأكيد من خــلال صـــوته · لقد أقدم على هذه المخاطرة وهو يدرك أن

شخصا ما من وذربرى قد يتعرف عليه · ولكن ها هى باتشيا موجودة بنفسها والسحر والجمال يشعان منها كالمعتاد · ولم يكن يتوقع منهـا أن تمارس كل هذا النفوذ عليه بنفس هذه السرعة ·

وبعدئذ احس بالخجل من نفســه فجأة لأن هذه الزوجة الشابة الجميلة التى تحتقره بالفعل ســوف تحتقره أكثر وأكثر اذا اكتشفت انه يعمل فى هذه الوظيفة المتواضعة مع الفرقة المتجولة ·

وراح ترونى يفكر بسرعة · وعثر بسرعة عـلى مدير الفرقة وقال له : يوجد بين المشاهدين هنـــاك رجل لا أحب أن أراه · وأنا مدين له بنقود ·· ولسوف يتخذ اجراءات القاء القبض على بمجرد أن أفتح فمى للتكلم وأنا على خشبة المسرح · فما العمل ؟ هل يمكن لك أن تعلن أن توربين قد اصيب ببرد شديد وأنه سيقوم بالدور بدون أن يتكلم ؟

فهز المدير راسه رافضا وقال : لن اقول لهم اى شىء · عليك فقط أن تقــدم لجمهور المشاهدين بعض

النظرات القلبية المحبة والابتسامات الماهرة فى الأماكن السيئة . وعندئذ لن يعرفوا مطلقا أن الكلام قد ألقى تماما .

وكان هذا لرد معقولا من الناحية العملية نظرا لان عنصر الاثارة كان يكمن فى الحركة أساسا وسارت لامور على ما يرام . وشعر تروى بالارتياح عندما انتهى المشهد التمثيلى . ولكن كان هناك عرض آخر فى المساء تحت ضوء المصابيح . وفى هذه المرة لاحظ فجأة أن سيوايز مدير المزرعة السابق عند زوجته قد تعرف عليه .

وعندما انتهت المسرحية . خرج تروى وراح يبحث فيما حوله . عمن المكنة أن يبحث عن بنيوايز ويتصادق معه اذا امكنه ذلك . وكان قد وضع لحية كثيفة على وجهه واخذ يبحث بين جماهير المشاهدين . ثم حل الظلام وبدأ الناس يستعدون للانصراف الى بيوتهم ومنازلهم . ولم يعثر على بنوايز ولكنه سرعان ما اكتشف باتشيبا حيث كانت جالسة فى ركن هادى

من خيمة تقديم المشروبات الخفيفة . وكانت تتحدث مع بولدوود الذى كان قد أحضر لها توا كوبا من الشاى . فدار تروى حول الخيمة من الخارج فى الظلام الى أن أصبح واقفا خلف مقعدها تماما وراح ينظر فى حرص وحذر من خلال فتحة فى قماش الخيمة . وكانت قريبة للغاية من تلك الفتحة حتى أنه كان باستطاعته أن يلمسها .

وفى تلك اللحظة دخل بنوايز الى الخيمة واتجه الى باتشيبا مباشرة **وقال لها** : لو سمحت . لدى أنباء خاصة تهمك وأود ان اقولها لك وحدك فى اذنك !

فردت عليه فى برود : لا أستطيع سماع اى شىء الآن . وكان قد اعتاد على أن يفضى لها بالأسرار دائما محاولا التقرب اليها من خلال تحطيم سمعة الآخرين .

فقال لها : سأكتب لك هذا الخبر الهام فى ورقة .

وجذب ورقة من مفكرة وكتب فيها : زوجك موجود هنا فى هذا المكان . فقد شاهدته بنفسى . فمن هو المغفل الآن ؟

ثم طوى الورقة وقدمها لها • وعندما لم تمد يدها لأخذ الورقة فانه القى بها على ركبتها وخرج من الخيمة •

فقالت باتشيبا في غير اهتمام وهي تلتقط الورقة :

ـ أوه • حسنى • ربما ينبغى على قراءتها !

وكانت الورقة المطوية في يدها اليسرى • وعندما ناولها بولدوود طبقا مليئا بالخبز والزبد فانها مدت يدها اليمنى وأنزلت يدها اليسرى بجوارها • وعندئذ جاءت اللحظة المناسبة لتروى • وبسرعة البرق دفع يده في الفتحة الموجودة في قماش الخيمة وخطف الورقة من بين اصابعها وانطلق مهرولا بين طبقات الظلام وهو يبتسم لدى سماعه صرخة الدهشة التى اطلقتها • وبعد دقائق قليلة عثر على بينوايز فهمس له بكلمات قليلة • ثم انطلقا سويا •

وكانت باتشيبا آنئذ تستعد لقيادة عربتها للعودة الى منزلها وعندما عرض عليها بولدوود أن يركب حصانه ويسير الى جوارها لم ترفض • اذ كانت مذعورة للغاية مما حدث لها في خيمة المشروبات الخفيفة ، حيث ظنت أن اللص قد اعتقد أن تلك الورقة هى ورقة بنكنوت وربما يحاول السطو عليها مرة اخرى اثناء عودتها عبر الطريق •

ونظرا لأن جبريل كان لا يزال مشغولا بانجاز شئون المزرعة فانها قد حمدت الله على وجود بولدوود بجوارها لحمايتها • وبعد أن قطعا ميلين أو ثلاثة أميال تحت ضوء القمر تبادلا أثناءها التعليقات المتفرقة من وقت لآخر قال بولدوود فجاة وبكل بساطة :

ـ يا سيدة تروى • هل ستتزوجين مرة أخرى ذات يوم ؟ وشعرت بالارتباك بسبب هذا السؤال المفاجئ • فظلت صامتة لبعض الوقت ثم قالت : انني لم أفكر جديا في هذا الأمر • اذ لم يتأكد موت زوجى

على الاطلاق وربما لا يزال على قيد الحياة . ولدى احساس غريب بأنه لم يغرق فى البحر ، ولذلك فانى أخجل الآن من التفكير فى الزواج مرة أخرى !

وظلا صامتين لبعض الوقت . وبعدئذ قال بولدوود :

ـ ولكنك تعرفين ان باستطاعتك الزواج مرة أخرى فى خلال ست سنوات اذا لم يظهر دليل واضح يؤكد وفاته . فهل انتظرتك لحين انتهاء السنوات الست هل تتزوجيننى ؟ .. أرجوك يا باتشيبا أن تعديني بذلك . ارجوك أن تعديني بانك اذا تزوجت مرة أخرى أن تختاريني زوجا لك !

وكان صوته يموج بالاثارة الشديدة حتى أنها أصبحت على وشك الخوف منه فى تلك اللحظة حتى أثناء تعاطفها معه . فصاحت فى قلق : أوه . ماذا سأفعل ؟ اننى لا أستطيع مطلقا ان أحبك على النحو الذى ينبغى أن تحب الزوجة زوجها . ولكننى اذا استطعت أن أدخل عليك السعادة بمجرد ان اعدك أننى

سأتزوجك فى نهاية السنوات الست فاننى سأحاول أن اتقدم لك بذلك الوعد فى وقت قريب .

ـ ربما هذا الوقت القريب لا يجيىء أبدا .

ـ لا . القصد فى وقت قريب وليكن فى الكريسماس !

فصاح : فى الكريسماس ! حسن . لن أتطرق الى هذا الموضوع مرة أخرى لحين حلول الكريسماس .

الفصل الثالث والثلاثون

وفي المساء السابق على يوم الكريسمس ، أقام بولدوود احتفالا . وقد دهشت القرية كلها لدى الاعلان عن ذلك الاحتفال كما لو كانوا قد سمعوا أن قاضيا محترما سيصعد على خشبة المسرح ، أو أن مباريات الكرة ستقام في الكنيسة .

ومما لا شك فيه أن ذلك الاحتفال كان يقصد به أن يكون احتفالا مرحا . وراحت النيران الهائلة في مطبخه تزأر طوال النهار أثناء اعداد الوليمة وبعدئذ أشعلت النيران في قطع الأخشاب المكدسة بالمدفأة

الموجودة في الصالة الطويلة . ولكن رغم كل هذا كانت روح المرح مفتقدة ، كما لو كان هناك شبح ما يحوم في جميع أرجاء الغرف معلنا أن الاحتفال لا يتلاءم مع المكان ومع الشخص الذي يعيش وحيدا هناك .

وما أن كاد بولدوود يفرغ من ارتداء ملابسه ، حتى وصل اليه جبرييل ومعه تقريره اليومي عن سير العمل في المزرعة .

فقال : أوه .. يا سيد أوك . يداي ترتعشان قليلا ولا أستطيع ربط رباط العنق على نحو سليم . فهل يمكنك أن تربط هذا الرباط نيابة عني ؟

وبعد أن انتهى جبرييل من ربط الرباط استطرد بولدوود قائلا في نشاط محموم : هل المرأة بوجه عام تفي بوعدها يا أوك ؟

ـ قد لا تفي بوعدها اذا كان الوعد غير ملائم لها !

فقال بولدوود : لقد سألت السيدة أفردين عما اذا كانت ستتزوجني عقب مرور سبع سنوات على وفاة

زوجها . فوعدتني بالرد على سؤالي هذا في هذه الليلة .. وهناك شيء آخر أريد أن أذكره لك . ان نصيبك من الأرباح التي حققتها هذه المزرعة ضئيل للغاية . وأنا انوي التخلي تماما عن ادارتي لمزرعتي في يوم ما . ولذلك فانا اريد منك ان تكون شريكا لي في الايرادات في حالة تركي لمهمة اشرافي على المزرعة . وبعدئذ اذا تزوجتها ..

فقال جبريل في تسرع : لا تتكلم لي في هذا الموضوع يا سيدي . فنحن لا نعرف ما ستسفر عنه الأمور .. وسأحاول ان اكون هنا لكي احضر الحفلة . ولكني قد اتاخر في الحضور حيث لا يزال أمامي بعض الأعمال التي ينبغي انجازها !

وبعد انصراف جبريل أخرج بولدوود صندوقا صغيرا من درج مغلق بالقفل . ونظر في داخل الصندوق . لقد كان يحتوي على خاتم نسائي مرصع بالماس . وبعدئذ سمع اصوات عجلات عند الواجهة الأمامية للمنزل فوضع الصندوق بعناية في جيبه ثم هبط نازلا الى الدور الأول لاستقبال ضيوفه .

وبينما كان بولدوود منهمكا في الترحيب بضيوفه كان الرقيب تروى جالسا في أحد أركان حانة الحصان الابيض في كاستربردج يدخن التبغ ويشرب الخمور . وفتح الباب ودخل بنيوايز .

فتساءل تروى : هل قابلت المحامي ؟ ألم يكن بالمنزل ؟ ذلك أمر مثير للضيق . ولكني لا أعرف نوع الخطأ الذي يمكن أن يرتكبه اي رجل اذا أظهرت الدلائل انه قد لقي حتفه غرقا ، ثم اتضح بعد ذلك انه لم يمت غرقا !

ثم ضحك ولكنه اضاف في شيء من القلق : هل تعتقد ان هناك امورا تدور حقا بينها وبين بولدوود ؟ .. وهل هي شجعته على تكوين علاقة معها على نحو ما ؟

ــ حتى الأمس لم اسمع عن انها ستحضر الحفلة التي سيقيمها الليلة . وهم يقولون انها اذا حضرت الحفلة فستكون هذه هي أول مرة تدخل فيها منزله . ويقولون ايضا أنها لم تتحدث معه على الاطلاق منذ أن قابلته في

سوق جريمبيل . والواحد منا لا يعرف ما هى الأمور التى يصدقها .. ولكنى متأكد من أنها غير مغرمة به !

فقال ترو : انا غير متأكد من ذلك . ينبغى على ان اذهب الآن على الفور للعثور عليها .

وقفز واقفا على قدميه وارتدى معطفا ثقيلا رمادى اللون .

وعندما قلب ياقة المعطف لأعلى ، كادت ان تصل الى القبعة التى كان قد جذبها لأسفل فوق اذنيه . وقال : ما رأيك فى منظرى الآن يا بنيوايز ؟ لن يتمكن أحد من التعرف على الآن .

وراح بنيوايز يتفحصه فى تفكير وقال : ولماذا لا تكتب لها خطابا ؟ .. ان حياتك الماضية كلها ستقفز الى الضوء اذا عدت اليها .

فقال ترو فى غضب : كلام فارغ ! .. ها هى موجودة هنالك ومعها قدر وافر من النقود ، ولديها مزرعة وخيول وتنعم بالراحة وهأنذا اعيش هنا مثل

الشحاذين .. وعلاوة على ذلك فقد نفذ السهم وفات الوقت . فمنذ ظهر هذا اليوم شاهدنى الكثير من الناس وتعرفوا على شخصيتى . كان ينبغى على ان اعود اليها عقب سوق الأغنام مباشرة ولكنى سمعت كلامك عن القانون وعن حقها فى الانفصال عنى .

ـ حسن أيها الرقيب كل ما يمكننى ان اقوله لك الآن هو ، لو كنت انا مكانك لذهبت الى خارج البلاد مرة أخرى . وآثرت عدم اثارة المتاعب من أجل الرغبة فى العيش معها . يا الهى . سوف تحدث متاعب هائلة اذا رجعت اليها الآن أثناء احتفال بولدوود بالكريسماس !

فقال الرقيب ترو وهو يضحك ضحكات خفيفة:
نعم . فأنا اتوقع ان أكون ضيفا ثقيلا اذا كانت هى موجودة هناك فى الاحتفال . وعلى حد تعبير نص جاء فى احدى المسرحيات [وعندما أدخل عليهم ستجلس الضيوف فى صمت وخوف وستتلاشى كل الضحكات ومشاعر البهجة والسرور وستتحول الأضواء الى اللون الأزرق !] . أوه . انه لأمر مخيف . املأ كأسى بالشراب يا بنيوايز فجسدى كله ينتفض بالرعب !

وامسك بالكأس وافرغ الخمر في حلقة ، واستطرد قائلا : الساعة الآن السادسة والنصف ، لسوف اصل الى هناك قبل التاسعة .

ثم غادر الفندق عقب الادلاء بهذه الكلمات .

الفصل الرابع والثلاثون

عند الحديقة الأمامية لمنزل بولدوود كان يقف مجموعة من الرجال في الظلام ،وقد تركزت عيونهم نحو الباب الذى كان يفتح من وقت لآخر للسماح بدخول احد الضيوف .

وقال احد هؤلاء الرجال معلقا فى همس : لقد قال الولد أنه قد شوهد في كاستربردج بعد ظهر هذا اليوم وانا اصدق كلام هذا الولد . حيث لم يتم العثور على جثمانه على الاطلاق كما تعرفون . فاذا كان لا يزال على قيد الحياة واذا كان موجودا في هذه المنطقة فمن المؤكد

انه يضع المخطط الآن لاثارة المتاعب • يا لها من انسانة مسكينة • انني اشفق عليهـــا اذا كان هـــذا الخبر صحيحا !

وتوقف عن الكلام لدى سماعه صوت وقع أقدام ثم قال : مرحبا • من القادم ؟

فرد هيكل فى الظلام وهو يتقدم نحوهم وينضـــم اليهم . أنا وليام سمولبرى • انها ليلة مظلمة • أليس كذلك ؟ فقد كدت ألا ألاحظ اللافتة التى تقع عنـــد المجرى المائى و لوجودة هنالك فى الوادى •• ولم يحدث لى ذلك من قبل على الاطلاق • هل يوجد بينكم واحـــد من رجال بولدوود ؟ اذ يخيل لى أننى سمعت صوت سام ساموای ؟

فقام سام : نعم • نحن جميعا من رجاله •

ثم اضاف فى همس : هل سمعتم هذه القصة الغريبة ؟ •

فقال وليام وهو يخفض من صوته : تقصد القصة

المتعلقة بالرقيب تروى ؟ •• نعم لقد حدثنى عنها ليبان تول توا • وها هوذا قادم نحونا على ما أعتقد • هل سمعت اية أخبار أخرى يا ليبان ؟

فقال ليبان وهو ينضم للمجموعة : لا وادعو الله ان يكون الخبر كاذبا •• لأنها كانت عادلة معى دائما رغم أن هنرى فراى وبعض الأشخاص الآخرين يقولون كلاما ضدها • صحيح أنها فتاة حادة المزاج ولكنهـــا شجاعة ولا تكذب على الاطلاق مهما أصرت المقادير بها •

فقال وليام سمولبرى : انها لاتكذب على الاطلاق وتلك حقيقة واضحة • وهى تنتقد الانسان فى مواجهته وليس من وراء ظهره •

ووقفوا فى صـــمت • كان كل رجل مشـــغولا بافكاره الخاصة به • وبعدئذ فتح الباب الأمامى مرة اخرى وظهرت تحت الضوء الخطوط الخارجية المألوفة لهيكل معروف •• وسار ذلك الهيكل فى بطء على الممر • فهمس سام قائلا : انه السيد • يستحسن

أن ننتظر في هدوء الى أن يدخل · فهو قد يعتقد انه من غير الملائم أن نقف هنا هكذا تحت الأشجار !

ومر بولدوود بالقرب منهم بدون أن يراهم · ثم توقف عن المسير واستند على البوابة واخذ نفسا عميقا · وبعدئذ سمعوه يقول : أدعو الله أن تحضر والا ستكون هذه الليلة بؤسا وشقاء بالنسبة لى !! ·· لماذا يا حبيبتى تسببين لى الحيرة والشك على هذا النحو ؟

وظل واقفا في مكانه هناك الى أن ترامى اليه صوت عجلات خفيفة هابطة التل · ثم توقفت العربة عند البوابة · وعندئذ أسرع عائدا الى الباب وفتحه · وسطع الضوء على باتشيبا وهى قادمة على الممر · وكبح جماح مشاعره الفياضة أثناء ترحيبه بها ، وسمع الرجال ضحكاتها الخفيفة واعتذاراتها لدى مقابلتها له · وبعدئذ اصطحبها الى الداخل وأغلق الباب مرة أخرى ·

وصاح واحد من رجال بولدوود : يا الهى ! لم أكن أعرف أن الأمور تسير على هذا النحو ! لقد كنت

أعتقد أن تلك الخيالات قد انتهت منذ فترة طويلة · كان ينبغى علينا أن نحكى له على الفور القصة التى سمعناها · وقد يلحق به المزيد من الأذى والضرر على نحو أكثر مما كنا نتصور · مسكين المستر بولدوود · سيكون الأمر صعبا بالنسبة له · لكم تمنيت أن يكون مصير تروى فى الجحيم ! ولعل الله يغفر لى هذه الأمنيات ·· ولكنه رجل شرير وخسيس ، لأنه يلعب الحيل الدنيئة على زوجته المسكينة · ولقد ساءت جميع الأمور فى ودربرى منذ أن جاء اليها · وأنا الآن ليس لدى الرغبة فى حضور الحفلة · هيا بنا نذهب الى الحانة لقضاء بعض الوقت أولا · أيمكن ذلك يا أخوانى ؟!

ووافق سام وليبان ووليام على الذهاب معه · أما الباقون فقد دخلوا الى المنزل · وكان وليام يسبقهم قليلا لدى وصولهم الى الحانة · وفجأة توقف عن المسير والتفت الى زميليه وقال : صه ! انظرا هنالك !

كان الضوء المنبعث من أحد نوافذ الحانة يسطع فوق وجه قريب من الزجاج · لم يعد بمقدور أحد أن

يشك في صحة الرواية التي سمعوها . لقد كان الوجه هو وجه ترودي .

وما أن تعرفوا عليه حتى هرولوا راجعين نحو منزل بولدوود . وتساءل سام : ماذا ينبغي علينا أن نعمل ؟

فقال وليام في شيء من الشك والريبة : لا شأن لنا بهذا الموضوع

فقال سام في اصرار : ان هذا الموضوع يهمنا .. بل ويهم كل شخص . فنحن نعرف جيدا ان سيدتنا موقفها ضعيف وندرك جيدا انها لا تعرف شيئا عن ظهور ترودي في المنطقة . لذلك ينبغي علينا ان نبلغها فورا .. يا ليبان .. أنت تعرفها بشكل أفضل ولذلك ينبغي عليك أن تتكلم معها في هذا الشأن .

فقال ليبان في عصبية : أنا لا أصلح للقيام بمثل هذه المهمة . وينبغي على وليام أن يفعل ذلك فهو أصلح من أي فرد آخر بيننا . وهو أكبر سنا

وعندما رفض وليام القيام بهذه المهمة اضطر ليبان الى الموافقة على القيام بها عن مضض . وما أن وصلوا الى المنزل حتى دخل ليبان بمفرده . ولكنه خرج من المنزل بعد دقائق قليلة قائلا لهم انه لم يجد الشجاعة التي تعينه على التكلم .

فقال سام في تعاسة : سنحاول أن ندخل جميعا الى المنزل . فربما تسنح لي الفرصة لابلاغ السيدة

ودخلوا سويا الى المنزل .

الفصل الخامس والثلاثون

وكان الرقص قد بدأ لتوه فى الصالة الطويلة ، ولم تكن باتشيبا موجودة هناك اذ كانت قد قررت البقاء لمدة ساعة · وبعدئذ تتسلل منصرفة بدون أن يلحظها أحد · وبعد مرور ساعة ذهبت باتشيبا الى غرفة الجلوس الصغيرة التى تقع فوق السلالم لكى ترتدى معطفها · وما ان وصلت الى تلك الغرفة حتى جاء اليها سيد المنزل **وقال لها** :

ـ يا سيدة تروى ·· هل من المعقول أن تذهبى الآن ؟ فنحن لم نبدأ الاحتفال الا منذ لحظات ؟!

ـ اننى أود الانصراف الآن · لو سمحت لى !

وكانت تبدو عصبية لأنها قد تذكرت الوعد الذى قطعته على نفسها · وخشيت الكلام الذى كان على وشك النطق به ·

وقال بولدوود : لقد كنت أنتظر الفرصة لكى اتحدث معك على انفراد ·· هل تعرفين ما أريد أن أقوله لك ؟

فوقفت صامتة تنظر الى الأرض · **فتساءل فى الحاح وشغف** : هل ستقدمين لى وعدك ؟ ·· ستعديننى بأن تتزوجينى لدى انتهاء السبع سنوات من تاريخ اختفاء تروى ؟!

فقالت باتشيبا فى بطء :

ـ أنا لا أعرف ما هو الشىء الصحيح وليس لدى شخص ينصحنى باتباع ما هو صحيح · ولكنى أعدك · اذا كان ينبغى على أن أعدك الآن !

ـ اذن قولى لى بصراحة شديدة الآن · قولى انك سوف تتزوجيننى بعد انتهاء ذلك الوقت ·

فصاحت فى ضيق وعصبية : أوه · لست أدرى· دعنى أذهب لو سمحت ·· اننى قد أنتهك القانون أو القواعد واللوائح التى تسير عليها الكنيسة ، نظرا لأن موت زوجى هو أمر مشكوك فيه · دعنى أستطيع رأى أحد المحامين فى هذا الشأن يا مستر بولدوود ·

ـ أوه · باتشيبا · قولى لى تلك الكلمات يا حبيبتى · تعهدى بأن تكونى من نصيبى ! فأنا أحبك أكثر من أى شخص آخر فى العالم · واذا كنت تعرفين مدى عمق الحب الذى أكنه لك لما تركتنى أعانى كل هذا العناء ·

فانفجرت باكية بالدموع وبعد أن استعادت السيطرة على نفسها قالت فى وقار : وأنت لن تتوسل لى وتناشدنى أو تطلب أى شىء آخر اذا وافقت ؟ حسنا بالنهاية · اذا لم يعد زوجى سأتزوجك بعد ست سنوات اعتبارا من تاريخ هذا اليوم !

وعندئذ قال : وأنت ستقبلين هذا كهدية منى ·

فصاحت لدى مشاهدتها ذلك الشىء الموجود فى يده · ما هذا ؟ لا أستطيع أن ألبس خاتما · فأنا لا أحب أن يعرف أحد ما وعدتك به · وعلاوة على ذلك نحن لسنا مخطوبين بالمعنى المفهوم من الخطبة ·· هل نحن مخطوبان ؟ ·· لا تصر على هذا يا مستر بولدوود ·· لا تصر !

ولكنه أمسك يدها اليمنى ووضع الخاتم فى أصبعها وهو يقول · البسى الخاتم فى هذه الليلة فقط · لمجرد ادخال السرور الى نفسى !

فوافقت وقالت : حسن اذن سألبس الخاتم فى هذه الليلة فقط اذا كنت ترغب بشدة فى ذلك ·

وشعرت انها غير قادرة على المقاومة أكثر من ذلك فقالت : والآن اترك يدى ودعنى أذهب ·

فقال بولدوود : هانذا أترك يدك · اننى أشعر بالسعادة الآن · بارك الله فيك !

ثم غادر الغرفة • وبعد لحظات قليلة تبعته باتشيبا نازلة على السلالم وقد ارتدت معطفها وقبعتها استعدادا للانصراف من المنزل • ولكنها قبل أن تنصرف توقفت عند أسفل السلم لكى تلقى نظرة اخيرة على مجمعات الناس • وكانت الموسيقى والرقص قد توقفا فى تلك اللحظات • وعند الجانب الآخر من الصالة كانت هناك مجموعة من الناس تتحدث فى همس وبنظرات قلقة • وشاهدهم بولدوود فتساءل عما اذا كان قد حدثت امور تعكر الصفو •

فقال سام ساموای : انه امر قد سمعه ليبان ، وذلك هو كل ما فى الأمر !

فتساءل بولدوود فى شىء من الحدة : ما الذى سمعت عنه يا ساموای ؟ اذا كان لديك اى شىء تريد أن تقوله ، فقله على الفور • واذا لم يكن لديك شىء ابدأوا فى رقصة أخرى •

وقال سام موجها كلامه الى ليبان : لقد ر

السيدة تروى الى الدور الأول • ماذا كنت تريد أن تقول لها فيستحسن ان تقول لها الآن !

وفى تلك اللحظات حدث طرق شديد على الباب وفتح أحد الرجال الباب وذهب الى الخارج ثم رجع وقال : هناك شخص غريب يريد مقابلة السيدة تروى•

فقال بولدوود : قل له يتفضل بالدخول •

ووصلت الرسالة • وبعدئذ وقف عند مدخل المنزل الرقيب تروى متدثرا ومعوما حتى عينيه بالمعطف الكبير • واولئك الذين كانوا قد علموا توا بوجوده فى المنطقة قد تعرفوا عليه على الفور • اما باقى الناس فقد نظروا اليه فى حيرة • ولم يلاحظ أحد وجود باتشيبا حيث كانت تقف مستندة على جانب السلم وكان وجهها شاحباللغاية ، وكان فمها مفتوحا فى دهشة وعيناها تحملقان فى الزائر •

وكان بولدوود من بين الناس الذين لم يدركوا ان ذلك الرجل هو تروى • فصاح مرحبا : تفضل أيها

الشخص الغريب .. وتناول معه مشروبا بمناسبة الاحتفال بالكريسماس !

فتقدم تروى الى منتصف الغرفة وخلع قبعته وانزل ياقة معطفه وحدق فى وجه بولدوود ثم انخرط فى الضحك . وعندئذ عرفه بولدوود على الفور .

وعندما التفت تروى الى باتشيبا كانت حالتها قد وصلت الى درجة من البؤس والشقاء تجل عن الوصف . اذ خارت قواها وتداعت وجلست هابطة على اخر سلمة كما لو كانت تسائل نفسها عما اذا كان الأمر كله بمثابة حلم رهيب .

وهنا تكلم تروى : يا باتشيبا . لقد جئت الى هنا من اجلك !

فلم ترد عليه .

ـ تعالى معى الى المنزل . تعالى !

فحركت باتشيبا قدمها قليلا ولكنها لم تنهض واقفة . فاتجه تروى نحوها .

ثم قال : تعالى ايتها المرأة . هل تسمعين ما اقول ؟

وهنا صدر صوت مترام من عند موقد النيران .. صوت اجوف يجئ من بعيد كما لو كان قد تردد فى ارجاء كهف عميق . ولم يعرف أحد أنه صوت بولدوود الا بصعوبة . فاليأس الشديد الفجائى قد احدث تغييرا هائلا فى طبيعة كيانه كله .

ـ يا باتشيبا . اذهبى مع زوجك !

ولكن باتشيبا لم تحرك ساكنا . لم تكن قد تعرضت للاغماء . ولكن عقلها كان خاليا تماما من الأفكار . وعندما مد تروى يده ليجذبها نحوه تراجعت هى للخلف . ويبدو أن اظهارها للخوف قد أغضب تروى حيث امسك بها من ذراعها وجذبها بشدة . ولا أحد يعرف ما اذا كانت قبضته قد آلمتها أو ما اذا كان مجرد لمسه لها هو السبب . ولكنه عندما امسك بها نراها لوت جسدها كما لو كانت تشعر بالآلام ثم صرخت سريعة منخفضة .

وبعد صراخها بثوان قليلة حدث صوت فجائي يصم الآذان . وهز الصوت الغرفة وملأها بالدخان . وعندئذ اتجهت جميع العيون في دهشة نحو بولدوود . فوق موقد النيران الموجود وراءه كانت هناك حطاطيف معقوفة تمسك ببندقيتي رش كما هو معتاد في البيوت الريفية . وعندما صرخت باتشيبا وهي في قبضة يد زوجها ، حدثت تغييرات على وجه بولدوود البائس ، وأطلت من عينيه نظرة مجنونة . فاستدار بسرعة واختطف احدى البندقيتين وأطلق النار مباشرة على تروى .

وسقط تروى على الأرض . وكانت المسافة قصيرة للغاية بين الرجلين . حتى أن الرصاصة لم تنتشر وانما مرت كالقذيفة في داخل جسده . فأطلق تنهيدة طويلة جافة وتقلصت عضلاته فجأة ثم ارتخت ، وبعدئذ تمدد على الأرض ساكنا .

ومن خلال الدخان شاهد الناس بولدوود . وكان لا يزال منهمكا ومشغولا ببندقيته ذات

الماسورتين . وكان قد تمكن من ربط منديله مع زناد اطلاق النيران حتى يتمكن من اطلاق البندقية بقدمه وكان يصوب الماسورة الثانية للبندقية نحو صدره . وكان سام سامواي هو أول من شاهد هذا المنظر فانطلق نحوه بسرعة . وكانت قدم بولدوود قد بدأت تجذب المنديل بالفعل فدوت البندقية بالانفجار مرة أخرى . ولكن سامواي ضرب البندقية بقبضة يده في اللحظة المناسبة فطاح بالرصاصة الثانية نحو السقف .

فقال بولدوود لاهثا : حسن . هناك وسيلة أخرى أموت بها !

وأفلت هاربا من سام وعبر الغرفة نحو باتشيبا ثم قبل يدها . وبعدئذ فتح الباب وخرج الى الظلام ولم يفكر أحد في منعه . فسار في ثبات وعزم ووصل الى كاستربردج قبل حلول منتصف الليل ، وجذب الجرس الموجود خارج بوابة السجن . وعندما جاء البواب قال له بولدوود كلاما بصوت منخفض فسمح له بالدخول ثم اغلقت البوابة مرة أخرى .

وفي تلك الأثناء كانت باتشيبا قد أفاقت من هول الصدمة ، وعندما جاء جبريل عقب اطلاق الرصاص بخمس دقائق كانت باتشيبا جالسة على الأرض بجوار جسد تروي وقد وضعت رأسه على ركبتيها .

ووقفت الفتيات والنساء متجاورات مع بعضهن البعض مثل الأغنام في حالة حدوث عاصفة أما الرجال فكانوا مضطربين للغاية ولا يعرفون ماذا يفعلون .

وقالت باتشيبا : يا جبريل . انطلق بالحصان بسرعة الى كاستربردج لاحضار طبيب .. واعتقد أن حالته خطيرة للغاية وميئوس منها . ومع ذلك أرجوك أن تذهب الآن على الفور . فقد أطلق المستر بولدوود النار على زوجي .

وجاء تعليقها على الحادث في كلمات هادئة وبسيطة . ولكنها كلمات تركت تأثيرا أعنف مما لو قيلت في انفجار وحشي . وانتظر جبريل للحظات قليلة لكي يسمع الحقائق المجردة فقط ثم أسرع ليضع

السرج فوق حصان وانطلق مسرعا . وبعد أن قطع مسافة تزيد على ميل خطر على ذهنه أنه كان ينبغي عليه ايفاد أي شخص آخر .

ترى ماذا حدث لبولدوود ؟ .. هل فقد عقله وجن جنونه ؟ .. أم هل كانت هناك مشاجرة ؟ .. ومن أين جاء تروي بعد أن افترض الجميع أنه قد استقر في قاع البحر ؟ .. وأدرك أن الوقت لا يسمح بايفاد مندوب آخر نيابة عنه فاستمر في انطلاقه بالحصان ولم يلحظ أثناء مشاعر الاثارة التي اجتاحته أن هناك هيكلا ما مألوفا له يجوس في الظلام في نفس الاتجاه التي يسير هو فيه .

وبعد أن عثر جبريل على الطبيب قرر أن يبلغ الشرطة . ولذلك انطلق الدكتور الدريتش بمفرده . ودهش للغاية عندما أدرك أن باتشيبا قد قامت بنقل الجسد الى بيتها بدلا من الانتظار لحين مجيء الضباط القائمين على تنفيذ القوانين . وأخبرته خادمة : انها قالت انها لن تترك جثمان زوجها العزيز ملقى هكذا على الأرض وعرضة لحملقة الناس فيه .

وعندما وصــــل الطبيب الى الباب الأمامى لمنزل باتشيا قابلته ليدى **وقالت له** : لقد نقلوه الى غرفة النوم بالدور العلوى . وطلبت منى سيدتى أن أملأ الحمام بالماء . وبعدئذ أغلقت الباب بالمفتاح ولم تسمح لأى شخص بالدخول . ولكنها قالت لى أن أخبرها عندما تجيء يا سيدى .

وفى هــذه اللحظة وصــل جبريل مع الكاهن وصعدوا جميعا الى الدور الثانى . كان كل شيء صامتا مثل صمت القبور . وراحت ليدى تطرق على الباب فسمعوا باتشيا تعبر الغرفة . وعندما فتحت الباب كان وجهها يبدو هادئا الا انه كان باردا وجامدا مثل وجه آلهة الاغريق القدامى .

وقالت : أوه هل وصلت أخيرا يا دكتور الدريتش .. لقد تم عمل كل شيء الآن ويمكن لأى شخص فى العالم ان يشاهده الآن .

ثم مرت بجوارهم ودخلت غرفة أخرى .
وتحت ضوء الشموع شاهدوا هيكلا ابيض اللون

عند الطرف البعيد بالغرفة . ودخل الطبيب ليفحص الجسد بينما انتظر الآخرون بالخارج . وعندما خرج قال فى هدوء . لقد انتهى كل شيء كما قالت . فقد تم خلع الملابس عن الجسد وتم وضعه فى ملابس الدفن بطريقة سليمة .. يا الهى ان هذه الفتاة لها أعصاب من حديد بكل تأكيد !

فهمس صوتها خلفهم : لا . انه مجرد قــلب الزوجة .

وفى تلك اللحظة ارتمت على الأرض فى اغماء . فنقلوها الى السرير وظلت ليدى الى جوارها لرعايتها وطوال الساعات الكئيبة الطويلة لتلك الليلة التعيسة **سمعت سيدتها تتمتم فى يأس مرير** : آوه . انهـا غلطتى ! كيف يمكن لى العيش ؟ يا الهى ! كيف يمكن لى أن أعيش !

الفصل السادس والثلاثون

وفي صباح اليوم الأول من مارس .. وكان صباحا عاصفا خاليا من ضوء الشمس . احتشد جمهور عند قمة تل ياليري . كان بعض الناس من ودبري ، وبعضهم الآخر من كمستربردج . وكان ذلك الحشد يضم بعض كبار الموظفين الراكبين في عرباتهم . وأخيرا شوهدت عربة أخرى آخذة في الاقتراب ووصل قاضي المحكمة العليا وتم استقباله بطريقة رسمية تشريفاتية سليمة .

وقال جوزيف بورجراس عندما واصل الموكب المسير الى كاستربردج . كانت هناك رحمة في عينيه !

وقال جان كوجان . ولكنني لن أذهب الى المحاكمة وأنا أنصح باقي المجموعة من رجالنا بالاقتداء وعدم الذهاب لأن المستر بولدوود سيشعر بالضيق اذا شاهدنا هناك ونحن نحملق في وجهه كما لو كان مفروضا علينا للتعرف على شخصيته .

فوافق الآخرون على رأيه وانتظروا جميعا في قلق لحين حلول اليوم التالي . وفي تلك الأثناء تحول انتباههم الى اكتشاف تم التوصل اليه في فترة ما بعد الظهر . اذ ألقى هذا الاكتشاف المزيد من الضوء على سلوك بولدوود وحالته النفسية أكثر من أية تفاصيل أخرى كانت معروفة حتى ذلك الوقت . فأولئك الذين يعرفونه جيدا قد لاحظوا أن حالته أصبحت غير طبيعية ، ومليئة بالاثارة الشديدة وذلك منذ يوم السوق في جرينهيل حتى حفلة الكريسماس ولكن جبرييل وباثشيبا هما فقط اللذان قد لاحظا في أوقات مختلفة أن توازن عقله قد تعرض للتشويش والاضطراب على نحو خطير للغاية .

وقد تم اكتشاف مجموعة أشياء غير عادية في دولاب مغلق بالمفتاح . وكانت هذه الأشياء هي مجموعات عديدة من الأقمشة الحريرية الغالية الثمن، والتي لها نفس الألوان التي تفضلها باتشينا ، هذا بالاضافة الى فراءين جميلين . وعلاوة على ذلك كان هناك صندوق مجوهرات يضم : حلقان ذهبية وقلادات ذهبية غالية الثمن . وكانت كل هذه الأشياء مغلفة بعناية في شكل طرود مكتوب عليها : « باتشينا بولدوود» وعليها تاريخ محدد مقدما بعد ست سنوات.

وتلك التأملات الحزينة عن حالته العقلية كانت تتم مناقشتها بالحانة عندما عاد جبرييل كاستربردج ومعه أنباء عن المحاكمة . وكان وجهه معبرا عن الموقف لقد اعترف بولدوود - كما توقع الجميع - بارتكابه لهذه الجريمة وأصبح من المقرر اعدامه شنقا .

وكان كل شخص آنئذ واثقا أنه لم يكن مسئولا من الناحية الأخلاقية عن تصرفاته . ولم تكن هناك معلومات كافية قبل المحاكمة بحيث يأمر القاضي باعداد

تقرير طبي عن حالته العقلية . ولكن الناس أرسلوا خطابا جماهيريا موجها لوزير الداخلية . يطلبون فيه اعادة النظر في قضية بولدوود مع ذكر الأسباب التي تدعو الى ذلك وذكروا في خطابهم عبارات تدل على أن الجريمة كانت نابعة من اختلال عقلي وليست اغتيالا متعمدا .

وتحدد موعد تنفيذ الحكم شنقا في تمام الساعة الثامنة من صباح السبت ، عقب مرور حوالي أسبوعين على تاريخ المحاكمة . وبحلول فترة ما بعد ظهر يوم الجمعة ، لم يصل من لندن أي رد على الرسالة الموجهة لوزير الداخلية .

وأمضى جبرييل ساعتين مع السجين ثم استودعه وأثناء عودته الى المنزل خرج نصف سكان القرية لملاقاته عند منتصف الطريق فقال لهم في اعياء :

- ليست هناك أية أنباء جديدة . وأخشى ألا يكون هناك أي أمل .. ولكني أريد منك يا ليبان أن تذهب بالحصان الليلة الى المدينة لتسأل مرة أخرى.

فقالت ليدى : أمل أن ينجو بحياته ٠٠ الله اذا تم اعدامه ستفقد سيدتي عقلها وتصاب بالجنون ٠ يا لها من السيدة مسكينة ! لقد تعرضت للمعاناة الرهيبة ٠ فمن سنتين فقط كانت فتاة خالية البال بعيدة عن الهموم ٠ ولكنها الآن قد تغيرت تماما بحيث لا يمكن للمرء الذى لم يشاهدها فى الآونة الأخيرة ان يتعرف عليها ٠

وانطلق ليبان تنفيذا للتعليمات الصادرة له ٠٠

وفى تمام الساعة الحادية عشرة مساء من تلك الليلة خرج الجميع الى طريق كاستر بردج لملاقاته ٠ وأخيرا ترامى الى سمعهم من بعيد أصوات وقع أقدام الحصان وبعدئذ سمعوا صوت ليبان وهو يصيح بأعلى صوته : لن يموت ! سيظل موجودا فى السجن الى أن يصدر أمر ملكى !

فصاح جان كوجان مهللا فى فرح وابتهاج : عظيم جدا ! ان عدالة السماء فوق كل شىء !

الفصل السابع والثلاثون

وتفاءلت باتشيبا للشفاء فى الربيع الا أنها ظلت منفردة بنفسها ووحيدة فى معظم الأوقات ، ولم تنطلق بحصانها لتفقد مزرعتها على الاطلاق ٠ وكانت تتجنب الحديث مع أى شخص بل ومع ليدى ذاتها ٠

وبعدئذ وفى مساء أحد أيام أغسطس أخذت تتجول فى القرية لأول مرة منذ الكريسماس ٠ وعندما وصلت فى سيرها الى فناء الكنيسة ، فتحت البوابة واتجهت الى الركن الذى دفنت فيه فانى روبين ٠ وأشرق وجهها فى شىء من الرضا والارتياح عندما قرأت الكلمات

المكتوبة على الشاهد الخاص بقبرها . كان الجزء العلوى من الشاهد مكتوبا عليه كلمات تروى التي كتبها في ذكرى فاني . وتحت تلك الكلمات وجدت الكلمات الجديدة التي تم نحتها على الشاهد : «وفي نفس هذا القبر يوجد جثمان فرانسيس تروى سالف الذكر أعلاه مع وجود تاريخ يعقب تاريخ وفاة فاني بأربعة عشر شهرا .

وبينما كانت واقفة هنالك ، صدحت أنغام موسيقية من داخل الكنيسة ، فاستدارت متجهة الى الباب ، وراحت تصغى . كان البـاب مغلقا . وكان الأولاد بالداخل يتدربون من أجل صلوات يوم الأحد . وأحدثت النغمة التي يترنمون بها تأثيرا شديدا على وجدانها ومشاعرها فامتلأت عيناها بالدموع . وسرعان ما انفجرت بدموع غزيرة ، وفي مرارة شديدة . ونظرا لأن وجهها كان مدفونا بين يديها فانها لم تلحظ اقتراب هيكل منها . ولكنها عندئذ رفعت وجهها ونظرت لأعلى .

وصاحت : مستر أوك ! منذ متى كنت هنا ؟ .. هل ستدخل الكنيسة ؟ .

ـ كنت أنوى الدخول الى الكنيسة . فأنا واحد من المنشدين . ولكن طالما أنك موجودة هنا فإن هناك أمرا ما أريد أن أذكره لك . فأنا قد أضطر الى ترك العمل في مزرعتك بعد وقت قصير يا سيدة تروى . فأنا أفكر في ترك انجلترا .. ليس الآن ولكن في خلال موسم الربيع القادم !

فقالت في دهشـة واحباط شـديد : تترك انجلترا ؟؟؟ لماذا يا جبرييل . ولأى شيء تفعل ذلك ؟ .. فكل شخص يعتقد أنك ستأخذ مزرعة بولدوود وتديرها لصالحك . وعلى مسئوليتك !

ـ لقد عرض على ذلك . هذه حقيقة . ولكننا لم نتفق بعد على ذلك . وأنا لدى الأسباب والدواعي التي تدعوني لمغادرة انجلترا . ولسـوف انتهى من عملي هناك كمدير للمزرعة في نهاية السنة ولن أمد الفترة بعد ذلك !

– وكيف يمكن لي انجاز الأمور بدونك ؟ لقد عملت معي يا جبرييل لفترة طويلة للغاية وعشنا معا الأيام الحلوة والأيام المرة العصيبة . وأصبحنا صديقين حميمين . ثم بعد ذلك تريد أن تتركني وتذهب بعد أن أصبحت لا حول لي ولا قوة أكثر من أي وقت مضى !

فقال جبرييل في حزن وكآبة : وذلك هو الحظ العاثر في هذا الأمر .. إن يأسك وعجزك وضعفك هو الذي يجعلني أشعر بضرورة الذهاب .. طاب يومك يا سيدتي !

وترك فناء الكنيسة سالكا ممرا بحيث لا يمكنها السير وراءه تحت أي ادعاء مهما كان السبب .

وبدا عليه على مدى الشهور القليلة التالية أنه يحاول تجنبها بقدر ما يستطيع . وعندما كان يريد منها شيئا كان يبعث لها برسالة أو ورقة لا تحمل توقيعه وكانت هي ترد عليه بنفس هذه الوسيلة .

وبدأت تعاني من أسوأ الأمور عذابا .. تعاني من الاحساس بأنها محتقرة . وحل موعد الكريسماس التالي . وفي صباح اليوم التالي تلقت خطابا رسميا يعلنها فيه رسميا بأنه سيترك الخدمة عندها في آخر شهر مارس .

وجلست باتشيبا وراحت تبكي بسبب وصول هذا الخطاب اليها . وكانت قد بدأت تنظر الى حب جبرييل الميثوس منه على أنه مماثل لحبها القديم الجدوى على مدى الفترات المتبقية من حياته .

وشعرت بالاساءة لأنه قد أنهى فترة حبه الفاشل على ذلك النحو ليصبح حرا طليقا ، ويبدأ حياة جديدة بعيدا عنها . وكيف يمكن لها أن تدير شئونها بدونه ؟ .. وأحست بالتعاسة الشديدة كما شعرت أنها في مسيس الحاجة الى الشفقة عليها والتعاطف معها حتى أنها قامت على الفور بارتداء عباءتها وقبعتها واتجهت نحو كوخ جبرييل عقب غروب الشمس مباشرة وتحت الأشعة الشاحبة للقمر الجديد .

وكانت اضواء النيران تسطع من احدى النوافذ ، الا انها لم تشاهد أحدا بالداخل ، فراحت تطرق في عصبية • ففتح جبرييل الباب وسطع القمر على وجهه •

وقالت باتشيا في ضعف واعياء : المستر اوك ؟

فقال جبرييل : نعم أنا المستر اوك •• من أنت ؟ •• أوه •• يا لى من شخص غبى لأننى لم أعرفك على الفور يا سيدتى • تفضلى بالدخول ! •• سوف أحضر مصباحا • من النادر جدا أن يزورنى سيدة ولذلك فأنا لا أحتفظ عندى بكرسى وثير مريح • فجميع الكراسى عبارة عن مقاعد خشبية • ولكن تفضلى بالجلوس !

واحضر كرسيا لها لكى تجلس عليه •

فقالت : لا داعى لأن تتعب نفسك بشأن ضرورة احضار مصباح •

ثم جلست على الكرسى وجلس هو الآخر وراحت أضواء النيران تتراقص فوق وجهيهما • ولكنهما شعرا بالارتباك والحرج والخجل • فمهما عندما كانا يلتقيان فى الحقول أو فى منزلها لم يكن يعتريها اى قلق او ارتباك ولكن ما أن اضطر جبرييل للترحيب بها كضيفة فى منزله حتى شعرا سويا كأنهما غرباء •

واستطردت هى قائلة : يا جبرييل • اننى أشعر اننى قد أسأت اليك بشكل أكيد ، وأن هذا هو السبب فى أنك ترغب فى ترك البلاد والابتعاد عنى • وأنا قد تضايقت كثيرا حتى اننى قررت المجيء اليك !

ـ أسأت الى ؟ كيف تسيئين الى يا باتشيبا ؟ • ومع ذلك فأنا لن أترك البلاد • فسوف أصبح سيدا على مزرعة وديربرى السفلى • وكنت انوى الاستمرار فى ادارة شئون مزرعتك فى نفس الوقت مثلما كنت افعل من قبل لو لم يقل الناس كلاما عنا سويا !

فقالت باتشيبا في دهشة : ماذا ! يقولون كلاما عني وعنك ؟ ماذا يقول الناس عني وعنك ؟!

فقال جبرييل : وهو شيء حقيقي تماما أيضا ! فانا اقيم هنا في هذا المكان منتظرا الحصول على مزرعة بولدوود المسكين بهدف الزواج منك في يوم ما . هذا هو الكلام الذي يقولونه . وانت قد طلبت مني أن اقص عليك ما يقوله الناس ولذلك يجب عليك ألا تلقي باللوم علي .

ولم يظهر الانزعاج الشديد على وجه باتشيبا مثلما كان جبرييل يتوقع . اذ قالت باتشيبا في هدوء : من أجل الزواج مني ؟ .. انه من السخف التفكير في مثل هذا الأمر في وقت قريب الغاية .

— نعم . انه من السخف بالطبع . وانا لا أرغب في اى شيء من هذا القبيل . فانت آخر انسانة في العالم افكر في الزواج منها !

— ان ما قلته هو : [في وقت قريب للغاية] .

— لو سمحت . لقد قلت [من السخف للغاية] وانا اقول أيضا انه من السخف للغاية أن يتم ذلك !

فقالت وقد امتلأت عيناها بالدموع : معذرة آسفة . كل ما كنت أعنيه هو [في وقت قريب للغاية] وهذا هو ما كنت اقصده حقا . ويجب عليك أن تصدقني !

وهنا نظر جبرييل نظرة عميقة في وجهها وقال في حنان وهو يقترب منها : ياباتشيبا .. أود أن أعرف شيئا واحدا . أود أن أعرف ما اذا كنت ستسمحين لي بأن أحبك وأن أتزوجك برغم كل شيء .. لو كنت فقط أعرف ذلك ؟!

فقالت باتشيبا في تمتمة هادئة : ولكنك لن تعرف مطلقا لأنك لا تسأل مطلقا .

فضحك جبرييل في ابتهاج وسعادة : أوه .. أوه يا عزيزتي ..

فقاطعته باتشيبا قائلة : ما كان ينبغي عليك أن

ترسل الى ذلك الخطاب القاسي في هذا الصباح . لقد كنت قاسيا للغاية معي . لأنني كنت أول حب لك وانت كنت اول حب لي . ولن انسى هذه الحقيقة الساطعة !

فقال ضاحكا : انت تحاولين مضايقتي الان يا باتشيبا .. فانت تعرفين الأسباب التي دعتني الى ذلك . فانا كنت اقوم بعمل صعب حيث كنت أدير المزرعة لامرأة شابة وجميلة وجذابة . خاصة وان الناس كانوا يعرفون انني مغرم بك . وقد خشيت ان الكلام الذي قالوه قد يضر باسمك وسمعتك .

فصاحت : أكان ذلك هو كل ما في الأمر ؟ كم انا مسرورة الآن لانى قد جئت اليك ! والآن ينبغي على ان اعود الى منزلى والا سيقوم الناس بالبحث عنى !

ثم اضافت ضاحكة : لماذا يبدو الأمر يا جبرييل وكانني قد جئت اليك هنا لأطلب منك أن تتزوجني ؟ يا له من شيء مريع !

فقال جبرييل : وهو شيء حقيقي تماما أيضا !

فانا قد تبعتك وسرت وراءك .. مثل الكلب المخلص على مدى أميال عديدة طويلة .. وايام ممتدة لا نهائية .. يا حبيبتي الجميلة باتشيبا .. ولا يمكن لك أن تندمي أو تتذمري بسبب قيامك بهذه الزيارة الوحيدة !

الفصل الثامن والثلاثون

« أريد احتفالا مغلقا وسريا ومبسطا للغاية » ..
كانت تلك هي رغبات باتشيبا . وكان أول شيء ينبغي على جبرييل اتخاذه هو الحصول على تصريح رسمي بالزواج الفوري .. وبدون اعلام جماهير الناس عن ذلك بالكنيسة كما هو معتاد .

وبعد ليال قليلة وأثناء عودته من كاستربردج عقب الحصول على التصريح ووضعه في جيبه تقابل مع جان كوجان فسارا سويا عبر القرية الى أن وصلا الى حارة تقع خلف الكنيسة ، وتؤدى الى كوخ ليبان تول

الذى كان قد عين مؤخرا كاتبا للابرشية ، وأصبح عليه تسجيل جميع حالات الزواج .

قال جبرييل : حسن ، مساء الخير يا جان اننى ذاهب في هذا الاتجاه !

فقال جان مندهشا : أوه ! ما الذى يحدث فى هذه الليلة ؟ هل لى أن أسألك ؟

وبدا لجبرييل انه من غير الملائم ألا يخبر جان ، لان جان قد ساعده باخلاص طوال فترات تعاسته مع باتشيبا **فقال له** : هل يمكنك أن تحفظ السر يا جان ؟

ـ أنت جربتنى من قبل وأنت تعرف عنى اننى احتفظ بالسر ولا أفشى الأسرار مطلقا !

ـ نعم ، اعرف عنك ذلك . حسنى اننى وسيدتنا ننوى الزواج في صباح الغد !

ـ يا الهي ! لقد فكرت في مثل هذا الأمر ، ولكنك كنت ملتزما بالهدوء الشديد . أتمنى لك السعادة يا جبرييل !

— شكرا جزيلا لك يا جان • ونحن لم تكن نريد اللجوء الى مثل هذا التكتم الشديد والسرية التامة ، ولكن بعد كل الأحداث الرهيبة التي حدثت اصبح من غير الملائم أن نقيم احتفالات مرحة وبهيجة بمناسبة هذا الزواج • وباتشيبا لا تريد لكافة جماهير القرية ان يحضروا الى الكنيسة • وحقيقة الأمر أنك اذا نظرت لها ستدرك انها خجولة من ذلك الأمر بعض الشيء • ولذلك فأنا التزم بكتمان الخبر احتراما لرغبتها ، ولمجرد أن ادخل عليها السرور • ولكنك يمكنك أن تجيء معي الآن لنقابل ليبان • فمن المؤكد أنه سيكون عند باب الكنيسة في تمام الساعة العاشرة •

وقال جان انه سيرهما سويا : أخشى ان تضيع كل جهودك ومحاولاتك للتكتم وابقاء هذا الموضوع في سرية تامة • لأن زوجة ليبان ستبادر الى ابلاغ كافة الناس في الأبرشية في خلال نصف ساعة • ولكنك اذا تركت هذه المسألة لأعالجها بنفسي فانني سأنجز كل شيء بدون أن تعرف هي اي شيء !

وسرعان ما تم انجاز هـذا الموضوع في امان

وسرية • وبعد أن قاما بزيارة قصيرة للكاهن قال كل منهما للآخر « طابت ليلتك » وذهب جبرييل الى كوخه لكي يعد كل شيء من اجل صباح الغد •

وفي تلك الأثناء كانت باتشيبا قد طلبت من ليدي أن توقظها في الساعة السابعة صباحا بدون أن تذكر لها السبب في ذلك • ولكنها استيقظت من تلقاء نفسها في الساعة الرابعة صباحا • ولم تستطع استئناف النوم مرة اخرى • وبحلول الساعة السادسة شعرت كـأن ساعتها قد تعطلت وتوقفت عن الـدق ولم تستطـع الانتظار أكثر من ذلك • فراحت تطرق على باب ليدي ، وأصرت على أن الوقت قد حان للبدء في تمشيط شعرها وتسويته بالفرشاة •

وعندما جاءت ليدي لم تفهم الأسباب التي تدعو الى كل هذا التسرع والعجلة •

فقالت باتشيبا وقد اطلت من عينيهـا اللامعتين ابتسامة مازحة : حسن • سأقول لك السبب في هذا التسرع •• ان المزارع اوك سيحضر الى هنا ليتناول طعام الغداء معي اليوم !

فتساءلت ليدى فى نوع من الشك والريبة : المزارع أوك ؟ بمفرده وبدون أن يكون معه أى شخص آخر ؟ .. وهل من الحكمة أن يجيىء بمفرده يا سيدتى ؟

فضحكت باتشيبا وهمست فى اذن ليدى رغم أنه لم يكن هناك أى شخص آخر موجود بالقرب منهما . **وبعدئذ حملقت ليدى وصاحت :** يا الهى ! يا لها من أخبار مفاجئة ! انها تدفع قلبى الى الدق مثل شىء مجنون !

فقالت باتشيبا : وهى تدفع قلبى أيضا الى الدق فى جنون ووحشية بعض الشىء . ولكن لا مفر الآن !

كان الصباح رطبا وغير بهيج . وفى تمام الساعة العاشرة الا الثلث طرق جبرييل باب باتشيبا .. وبعد عشر دقائق انطلقا سويا سيرا على الأقدام فى الحارة المليئة بالضباب متجهين الى الكنيسة .

وكانت باتشيبا قد رتبت شعرها بنفس التسريحة القديمة التى ظهرت بها من قبل فوق تل نوركومب وذلك بناء على رغبة جبرييل . وفى الكنيسة كان هناك

ليبان تول وليدى والكاهن . وتم اتخاذ اجراءات عقد الزواج فى وقت قصير للغاية .

وفى مساء ذلك اليوم جلس جبرييل وباتشيبا فى غرفة الجلوس فى هدوء تام لتناول الشاى . وكانا قد قررا الاقامة سويا فى منزل باتشيبا نظرا لأن كوخ جبرييل غير ملائم لاحتياجاتهما . وما أن بدأت باتشيبا تصب الشاى فى فنجان حتى انطلقت الرصاصات مدوية من البنادق لتحيى آذانهما أمام المنزل واعقب ذلك النفخ العنيف فى الأبواق الموسيقية .

فقال جبرييل ضاحكا : ها هم قد عملوها ! لقد ادركت أن أولئك الزملاء كانوا يدبرون لعمل شىء ما بمجرد أن رأيت وجوههم بعد ظهر هذا اليوم !

ثم امسك بالمصباح وخرج اليهم فسارت وراءه باتشيبا . وسقط ضوء المصباح على وجوه مجموعة من الرجال وعندئذ هتفوا هتافات مدوية على الفور . وفى نفس اللحظة انطلقت البنادق مدوية مرة أخرى كخلفية صوتية للهتافات .. ثم دوت الموسيقى الصاخبة

المجنونة من فرقة القرية الموسيقية . ثم سار المأذون والهاتفون ومطلقو النيران مقتربين من الباب .

فقال جبرييل : تفضلوا جميعا بالدخول لكي تتناولوا الطعام والشراب معي ومع زوجتي !

فقال مارك كلارك معتذرا : شكرا جزيلا . لا داعي لازعاجكم في هذه الليلة . سنحضر لكما في وقت آخر مناسب ولكننا لم نشأ ان ندع اليوم يمر بدون أن نقدم لكما التهنئة الحارة . وألف مبروك . وعلى كل حال نكون شاكرين اذا تفضلتم بارسال بعض المشروبات المنعشة لنا في الحانة . مع أطيب تمنياتنا بحياة طويلة هانئة للزميل أوك وزوجته الفاتنة الجميلة !

فقال جبرييل : شكرا . شكرا لكم جميعا . ولسوف ارسل لكم المشروبات على الفور الى الحانة .. لقد توقعت الحصول على نوع ما من أنواع التحية من جانب اصدقائنا القدامى . وقلت توقعاتي هذه لزوجتي منذ لحظات قليلة .

فقال جان كوجان بصوت فكاهي وهو يستدير

نحو زملائه : حسن ! ان الرجل قد تعلم كيف ينطق كلمة « زوجتي » بطريقة طبيعية للغاية تدعو للدهشة اذا وضعتم في الاعتبار هذه الفترة القصيرة للغاية التي امضاها في الحياة الزوجية . أليس كذلك يا جيراني ؟!

فقال جاكوب سمولبري موافقا على ذلك القول :
لم اسمع في حياتي على الاطلاق أي شخص متمرس في الحياة الزوجية منذ عشرين عاما ينطق كلمة « زوجتي » بطريقة طبيعية أكثر منه . وربما كان الأمر سيصبح أكثر تمشيا مع الطبيعة وأكثر صدقا لو أن هذه الكلمة قد نطقت ببرود أكثر . ولكن ذلك لم يكن متوقعا الآن !

فقال جان وهو يدير عينيه : ذلك التقدم سيأتي بمرور الوقت .

وهنا ضحك جبرييل وابتسمت باتشيبا ، اذ لم تكن راغبة في الضحك الآن على الاطلاق .. ثم استدار اصدقاؤهما وساروا مبتعدين نحو القرية .